

إلى المجمع العلمي بدمشق

تأليف

الامام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي

سلسلة الكتب العقائدية (٤٨)

إعداد

مركز الأبحاث العقائدية

ص: 4

فهرس المطالب

- النصح باشفاق
- الدعوة الى الوحدة
- العتاب بحفاظ
- الاحتجاج على العدوان
- تنبيهان الى سخافات
- الاعذار فى الأنداز

ص: 5

إلى المجمع العلمى العربى بدمشق
النصح باشفاق

١

إنكم - معشر القوامين على هذا المجمع وعلى مجلته - تبوأتم بهما مَبَوًّى قَوّامين بالعلم، مصلحين مثاليين، وقادة فكر ورأى، ودعاة إلى الخير، وسعاة فى لَمّ شعث، وتوحيد عزائم وهمم وأهداف.

ومن تبوأ هذا المَبَوًّى بصدق، جامعاً لشروطه، كان على الأمة أن تخلص له النصح، وتصدق الرأى والمشورة، لأنّ نصحه - وحاله هذه - نصح لله تعالى ولعباده كافة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الدين النصيحة. قالوا: لمن؟ قال: لله تعالى ولكتابه

ص: 6

ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم.

فإن قبلتم نصحى فقد أفلحنا جميعاً، وإلا ففرضى أدّيت وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ونضّر الله امرءً سمع مقالتي فوعاها وعمل بها وأدّاها إلى من لم يسمعها.

إن الله عزّ وجلّ أخذ - بمقتضى حكمته ورحمته - على دعاة الخير شروطاً، لا يكون لدعايتهم قبول من الناس إلاّ بها، فرجائي اليكم إحرازها، ألا وهي تصحيح القصد، والإخلاص لله تعالى، وتطهير القلب واللسان (والقلم وما يسطرون) مع العلم والعمل، وكرم الخلق، ولين الجانب، اقتداءً بالنبیین وسائر المصلحين.

كانوا فى دعايتهم ألین من أعطاف النسيم، وأعذب

ص: 7

من كوثر جنّات النعيم، لا يعدون فيها قوله عزّ من قائل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فإذا جادلوا مخالفيهم، فلنما يجادلونهم بالتى هى أحسن (ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) وربما تساهلوا معهم بادىء ذى بدء فتجاهلوا بالحق الذى يدعون اليه طالبين من مخالفيهم فيه، أن يشتركوا معهم فى البحث عنه، تأليفاً لقلوبهم، وتوصلاً إلى وضع المسألة على بساط البحث بينهما، ليك ون الحق فيها ضالة الفريقين، ويكون الحكم المتبع فى فصل النزاع منوطاً بالدليل الملزم والحجة البالغة.

وهذا الأسلوب الحكيم أمر الله عزّ وجلّ به سيد رسله وأهدى سبله . إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين : (وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ومثله ما حكاه الله سبحانه عن نبيه وخليفه ابراهيم

ص: 8

عليه السلام إذ قال وهو أصد القائلين : (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي . فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي فلما أفل قال: لئن لم يهدنى ربي لأكوننّ من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر . فلما أفلت قال: يا قوم أنى برىء مما تشركون أنى وجهت وجهى لل دى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين)

هذه أساليب الأنبياء - وهم سادة الحكماء - فى الإصلاح والدعاية إلى الخير، وبها تسنى لهم بعض ما أرادوه من الهدى لعباد الله عامة، فأفلحت بهم أمم هداها الله لدينه ووفقها لما دعوها اليه من سبيله،

ص: 9

ولو كان فى أخلاقهم صعوبة، أو كان فى مراسهم خشونة، لانفضّ الناس من حولهم، كما جاء فى التنزيل : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) .

أمره الله تعالى بالعفو عنهم والاستغفار لهم - مع ما فطر عليه من اللين لهم - حرصاً منه سبحانه على مصالح عبادہ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا تغمّد جهلهم بسعة ذرعه، وتلقى هفواتهم بشهامة طبعه، أوتى بذلك محابّ القلوب، فتشربه وتشرب كل ما يدعوهم إليه من خير الدنيا والآخرة.

وأمره بمشاورتهم مع استغنائه بالوحى عنها، لتستحصد أسباب ولائهم، وتستحصف له مرائر إخلاصهم، فيأتمروا

ص: 10

بأوامره، وينزجروا بزواجه، ويأخذوا بحكمه ونظمه، ثم جعل الأمر كله إذا عزم بيده خاصة (فإذا عزمت فتوكل على الله) أخذاً بالحزم فى إيثاره الحق الموحى إليه.

وقد جاء فى الذكر الحكيم (وإنك لعلى خلق عظيم) ومع ذلك فقد أمره الله تعالى بالتواضع لأتباعه:

(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، فإن عصوك فقل إني برىء مما تعملون) .

وفى هذه الآية من - عظم الحرص على مصالح العباد بخفض جناح النبى لهم - ما فى الآية الآنفه، ومن أمعن فى هذه البراءة، وجد فيها من تغليظ معصية الرسول وتفظيعها ما لا يكون فى تطهير العصاة برجمهم أو ضرب أعناقهم على أن فيها من الرفق بهم، والدلالة

ص: 11

لهم على التوبة منها، كل ما تقتضيه رحمته الواسعة، وحكمته البالغة، إذ لم تكن البراءة منهم أنفسهم ليأسوا وإنما كانت من عملهم الفظيع لبراءة منه، أسوة بنبيهم المأمور بذلك.

وفى الذكر الحكيم ما يأخذ بالأعناق إلى كرم الأخلاق (أن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين) الذين يقتفون أثره، وينذر الذين مثلهم فى حمله والدعاية الية (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها) ، (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين) .

هذا ما رغبت فيه اليكم، لتكونوا في مجتمعكم وفي مجلتكم مصداق قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

ص: 12

فإنه (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس)

وأعِذ القوامين بالعلم، المتبوءين مبادئ الصالحين، أن يكونوا بسبب عدم إحرازهم الشرائط (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

ص: 13

الدعوة الى الوحدة

٢

وأرجو من رجال المجمع، ومن المسلمين أجمع، أن يؤثروا وحدتهم الاسلامية على خصائصهم المذهبية، فلا يتعصب أهل مذهب منهم على أهل مذهب آخر، ليكون الجميع أحراراً فيما قادهم الدليل الشرعى اليه، كما كان عليه سلفهم في صدر الاسلام، فإن فعلوا ذلك، كانوا في ظلّ منعة لا تضام، وإلا فهم هدف السهام وموطئ الأقدام أعاذهم الله.

وما أدري فيم يتجهّم لنا بعض أهل المذاهب الأربعة؟ فنتجهّم لهم، أليس الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له ربنا جميعاً، والإسلام ديننا، والقرآن الحكيم كتابنا، وسيحد النبيين وخاتم المرسلين محمد بن

ص: 14

عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم نبينا، وقوله وفعله وتقديره سنتنا، والكعبة مطافنا وقبلتنا، والصلوات الخمس، وصيام الشهر، والزكاة الواجبة وحجّ البيت فرائضنا، والحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرّمه، والحق ما حقّاه، والباطل ما أبطله، وأولياء الله ورسوله أوليانا، وأعداء الله ورسوله أعداءنا، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) اليس الشيعيون

والسنيون شرعاً في هذا كله سواء (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) .

والنزاع بينهما في جميع المسائل الخلافية صغرى في

ص: 15

الحقيقة ولا نزاع بينهما في الكبرى عند أهل النظر أبداً، ألا تراهما إذا تنازعا في وجوب شيء أوفى حرمة، أو في استجابته أو كراهته أو في إباحته، أو تنازعا في صحته وبطلانه، أو في جزئيته أو في شريطته أو في مانعيته، أو في غير ذلك، كما لو تنازعا في عدالة شخص أو فسقه أو إيمانه أو نفاقه أو وجوب مولاته، أو وجوب معاداته، فإنما يتنازعان في ثبوت ذلك بالأدلة الشرعية، وعدم ثبوته فيذهب كل منهما إلى ما تقتضيه الأدلة الإسلامية، ولو علموا بأجمعهم ثبوت الشيء في دين الإسلام أو علموا جميعاً عدم ثبوته في الدين الإسلامي أو شك الجميع في ذلك لم يتنازعا ولم يختلف فيه منهم شخصان، وقد أخرج البخاري في صحيحه (١)

(١) في باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ وهو في أواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة قبل كتاب التوحيد بنحو ورقتين.

ص: 16

عن أبي سلمه وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران؛ وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر. أهـ

ولذا قال العلامة البهائي الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي المعاصر في رسالة (ميزان الجرح والتعديل) بعد ذكر الشيعة واحتجاج مسلم بهم في صحيحه ما هذا لفظه: لأن مجتهدى كل فرقة من فرق الاسلام مأجورون أصابوا أم أخطأوا بنص الحديث النبوي. اهـ

وقال الشيخ رشيد رضا - في صفحة ٤٤ من المجلد ١٧ من مناره - إن من أعظم ما بليت به الفرق الإسلامية ورمى بعضهم بعضاً بالفسق والكفر، مع أن قصد كل الوصول إلى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة إليه، فالمجتهد وإن أخطأ معذور، إلى آخر كلامه في ص ٥٠.

ص: 17

وقال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر أو لا يكفر في صفحة ٢٤٧ من الجزء الثالث من كتابه (الفصل في الملل والنحل) ما هذا نصه : وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وإن كل من اجتهد في شيء من ذلك، فدان بما رأى أنه الحق، فإنه مأجور على كل حال، إن أصاب فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد.

قال: وهذا قول ابن أبي ليلى، وأبي حنيفة، والشافعي، وسفيان الثوري، وداود بن علي، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة، لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً.

قلت وصرح بهذا كثير من أعلام الأمة، فلا وجه إذاً لهذه المشاغبات التي عادت على الأمة بالتفرق

ص: 18

والعزق، فكانت طرائق قددا، والله تعالى يقول : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ، (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) ، (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل والصحاح في هذا المعنى متواترة وفي هذا القدر كفاية. والحمد لله على الهداية.

ص: 19

العتاب بحفاظ

٣

أن مجلتكم مرآة أخلاقكم وعقولكم وسرائركم، تمثل الحقيقة مما أنتم عليه من دين وفضل وتفكير ورأى، وملكات وصفات، فأربأوا بها من كل معرة تربأون بأحسابكم عنها، واتقوا الله فيما تقولونه، عمن تخالفونه في مذهب أو مشرب، وأعيذكُم بالله مما تنشره مجلتكم عن الشيعة الإمامية في كثير من أجزائها مما لا حقيقة له ولا منشأ انتزاع، والشيعة اخوانكم في الدين، وأشدّ المسلمين دفاعاً عنه، ودعاية إليه، واحتياطاً عليه، أرضيتهم أم كرهتهم، أنصفتهم أم أجحفتهم، وقد ملأوا الدنيا الإسلامية عدداً نامياً، وعلوماً زاخرة، عقلية ونقلية، وتلك

ص: 20

مؤلفاتهم في اصول الدين وعقائده، وفروعه وقواعده، وسائر العلوم والفنون، متوناً وشروحاً، مختصرات ومطولات، والكل ممتع منتشر لديهم في كل خلف من هذه الأمة من عهد الصحابة الكرام، حتى هذه الأيام، وقد انتشرت اليوم في الأقطار الإسلامية حتى حوالىكم في سوريا ولبنان.

وإنّ لديكم في دمشق منها مكتبة حافلة بمصنفات القدماء منهم والمتأخرين وصاحبها علم الشيعة في سوريا وإمامهم السيد الشريف المحسن الأمين الحسيني مؤلف كتاب أعيان الشيعة وعضو مجمعكم العلمي، فليتكم - قبل أن تنشروا عن الشيعة ما نشرتم من الدواهي والطامات - بحثتم عن الحقيقة منها مع السيد أو غيره، مستقصين مظانها من كتب الإمامية، ولو فعلتم ذلك لما تهورتم ولا تدهورتم، ولكن:

ص: 21

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

على أنّ قانون الجمعيات المعمول به من الأمم كلها، يفرص لكل عضو من الجمعية على غيبه من أعضائها حرمة لا تهتك، وذمة لا تخفر، فما الذى أغراكم بمخالفة هذا القانون؟ إذ فاجأتهم الشيعيين من أعضاء مجمعكم بهتك حرمتهم، وخفر ذمتهم، بما نشرتموه عنهم - من حيث لا يدرون - من هذه الأراجيف التى لا صحة لشيء ما منها أصلاً.

والمجلة إنما تصدر باسم المجمع، فألاعضاء كلهم فيها شرع سواء، ليس لأحد أن يستبدّ بنشر آرائه ما لم توافق عليه الأكثرية، فهل وضعت نشر هذه الأضاليل على بساط البحث بين أعضاء المجمع؟ ثم نشرتموها بعد باتفاق الآراء أو بالأكثرية؟ هيهات

ص: 22

هيهات، وإنما استبدّ بنشرها عضو أو عضوان أو ثلاثة دون أن يشعر غيرهم، وإذا فلتتشر المجلة باسم المستبد، ولا يجوز نشرها باسم المجمع ابداً، وهذه حرازة أنه اليها الغافلين من الأعضاء عنها، ويجب عليهم أن ينتبهوا لها، والله ولى التوفيق.

ما كان الشيعيون من أعضاء المجمع (١) ليزجوا أنفسهم فيه، مع ما هم عليه من غزّ الجانب وعلوّ المصد، لولا إثار المصلحة العامة بجمع الكلمة وائتلاف القلوب، واتحاد العزائم، على ما كانوا يظنون، لكن الواقع إنما كان على حد قول القائل:

(١) كالشريف العلامة السيد محسن الأمين نزيل دمشق، وصاحب المعالي العلامة الاديب الشيخ محمد رضا الشيبى النجفى . والعالمين الفاضلين الادبيين الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاه ر و مر بى صاحب الجلالة فيصل الثانى الدكتور مصطفى جواد، والاستاذ الكريم الدكتور أسعد الحكيم، والاستاذ المفضل كاظم الدجيلي، والميرزا الجليل الأستاذ عباس إقبال، وغيرهم ممن ذكرت المجلة اسماءهم الكريمة فى ص ١٣٨ من مجلدتها الخامس والعشرين.

ص: 23

أريد حياته ويريد قتلى
ولهم أن يتمثلوا:
رأيت الحلم دلّ على قومي * وقد يتجهّل الرجل الحليم
وحسبنا عزاء عما نالنا قوله تعالى : (اما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) ، (ولا يحيق
المكر السىء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) .
الاحتجاج على العدوان
٤
كنا نظن أن أخواننا - هداهم الله - أحسّوا بما حلّ بالمسلمين من نعرات تألبوا بها على أنفسهم،

ص: 24

فكانوا بها مذقة الشارب ونهزة الطامع، وكنا نقول بزغت الحقائق بانتشار كتب الإمامية فلا أفاك بعد ولا بهات،
ولا رامى لهم بشىء من المقتريات.

لكن المجمع العلمى بدمشق لم ير فى عاصمة بنى أمية، ولا فى غيرها كحضرة الاستاذ محمد كرد على فى تحرره
من الحزبية، وتجرده من العاطفة الأموية، وإنصافه للطالبيين وأوليائهم، وأمانته على تاريخ حياة الأمم، إذ لا ضلع
مع احد كما يقول.

لذلك ألقى المجمع اليه مقاليد البحث عن تاريخ حياة الشيعة الإمامية.

«إن خير من استأجرت القوى الامين»!!! ومن ذا يشك فى أمانة ضميره، ونصح دخلته، ولا سيما بالنسبة إلى
الطالبيين وشيعتهم، فإن ظاهره يشف عن باطنه وقلبه يتمثل فى لسانه، لا يوالس

ص: 25

ولا يدالس، ولا يحدج بسوء أبداً.

ودونكم من فرائده وفلائده درراً وغرراً لفظها فوه الأشنب وحفظها قلمه المذهب فى كنوز الأجداد أثناء بحثه عن المسعودى (١) من مجلة المجمع، وهى أمور:

الأول، زعم أنا نجوز الكذب على مخالفيها، وهذا ما كنت أربأ بالأستاذ عنه، إذ لا حقيقة له ولا منشأ انتزاع، وإنما هو عدوان صرف، وبهتان محض، وقد أجمع السلف والخلف منا نصاً وفتوى على تحريم الكذب مطلقاً، سواء أكان على المخالف أم كان على غيره، ومؤلفاتنا فى الفقه والحديث والتفسير والأخلاق تعلن ذلك بصراحة، وهى منتشرة فى كل خلف من

(١) أواخر ص ٣٩٥ والتى بعدها من المجلد ٢٢ من مجلة المجمع وسأتلوها عليكم بعين لفظه قريباً إن شاء الله، لكن بعد أن أنبهكم سلفاً إلى بعض ما فيها من مواضع القول، بل النقد، بل النكير.

ص: 26

هذه الأمة، فلتراجع:

(إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون) ، (فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أحلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) .

وقد أكبر الإمامية الكذب فى الحديث واستفطعوه، وقالوا هو أشد حرمة، وأكبر إثمًا من الكذب فى غيره، حتى عدوه من مفطرات الصائم، كتعمد الأكل والشرب.

نحن لو كلفنا حضرة الأستاذ ببيان مستنده فى هذه الدعوى علينا لأخرجناه أشد الاحراج، وعجباً من جرأته يفترى هذا الكذب علينا، ثم يرمينا بجرمه، كالتى، رمتنى بدائها وانسلت، بل كالذى عناه الله تعالى بقوله :

ص: 27

(ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) .

الثاني، زعم انا قد غلونا في حب الطالبين، وهذا كسابقه، بهتاناً وعدواناً، والحق الذي يعلمه الله تعالى أن الشيعة الإمامية لم يغلوا ولم يقلوا، بل كانوا أمة وسطاً بين الغالية وال قالية، وهذا ما تثبته كتبهم الكلامية بأدلتها القاطعة وحججها البالغة، فليراجعها من يبتغي الحق جلياً.

وكيف ينسب الينا الغلو في الطالبين مع أنا قد نؤثر الحبشى على الطالبى، وذلك إذا أحرزنا العدالة في الأول دون الثانى، فإن الحبشى حينئذ نأتم به فى الفرائض، ونق بل شهادته فى المرافعات وغيرها، ونحتج بحديثه، ونحترم فتواه دون الطالبى المجروح، إذ لانأتم

ص: 28

به، ولا نعبأ بشهادته، ولا نأبه بحديثه ولا بفتواه، ولا غرو فإن الله عز وجل خلق الجنة لمن أطاعه، والنار لمن عصاه (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

نعم، تحب الطالبين وسائر الهاشميين، ولا سيما الفاطميون؛ وإن من مذهبنا مودتهم، ولو كره الأمويون والخوارج، والرهاصب، ورمونا بالدواهى والطامات:

فطائفة قد كفرتنى بحبهم * وطائفة قالوا مسيء ومذنب

نؤدى بمودتهم أجر الرسالة مخلصين لله فى حب أوليائه، كما قال الشيخ ابن العربى:

رأيت ولائى آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثنى القربى

ص: 29

فما طلب الرحمن أجراً على الهدى * بتبليغه إلا المودة في القربى

وقال الإمام الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبيكم * فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم * من لم يصلي عليكم لا صلاة له

وقال الشيخ يوسف النبهاني:

آل طه يا آل خير نبي * جدكم خيرة وأنتم خيار
لم يسئل جدكم عن الدين أجرا * غير ودّ القربى ونعم الاجار

أذهب الله عنكم الرجس اهل البيت فأنتم الأطهار لنا رأينا ولحضرة الأستاذ رأيته.

ص: 30

لكم ذخركم إن النبي ورهطه * وحزبهم ذخري إذا التمس الذخر
جعلت هواي الفاطمين زلفة * إلى خالقي ما دمت أو دام لي عمر
وكوِّفني ديني على أن منصبي * شآم ونجری أية ذكر النجر

الثالث، زعم أنا جعلنا الطالبين فوق البشر.

وهذا كسابقيه، إرجافاً وإجحافاً، وقد عرفت أن الطالبى عندنا قد يكون دون الحبشى، وذلك إذا أحرزنا العدالة في الحبشى، كبلال، وقنبر، وجون مولى ابى ذر، ولم نحرزها في الطالبى ككثير من الأشراف، وهذا بمحرده كافٍ في تنبيه الأستاذ لتزييف ما زعم.

على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو سيد الخلائق - لم

ص: 31

يكن فوق البشر (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) فكيف يمكن بعد أن يكون الطالبى فوق البشر.

وسيد الطالبين على بن ابى طالب إنما استمد فضله وتفوقه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ نهج الرسول له سبيله، وحمله على جادته فجرى على اسلوبه، واتبع سنته، وما زال يطبع على غراره حتى دعاه الله إلى جواره، وهذه الخصيصة هي أفضل خصائص على، باجماع الإمامية (١) .

نعم فى الطالبين اثنا عشر أمماً - على والحسنان والتسعة من سلالة الحسين - بوأتهم الأدلة القطعية لدينا مبرراً للإمامة على الأمة والولاية العامة عليها فى دينها ودنياها بعهد متسلسل من رسول الله إلى على ومن على إلى الحسن فالحسين فإلى كل من التسعة بعهد

(١) كما توضحه مراجعاتنا.

ص: 32

السابق منهم إلى من بعده.

هذا ما فرضته علينا قواطع الأدلة الشرعية نمقلىة وعقلىة، فلتواجه فى مظانها من مؤلفات اصحابنا فى علم الكلام، فهل يستلزم الاعتقاد بإمامتهم القول بأنهم فوق البشر، ملا (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) كغيرهم من أئمة الخلق، والأوصياء بالحق، فإنه ما من نبي إلا وله وصى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) .

الرابع، زعم أننا ثبتت للطالبين الكمال المطلق.

نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن كل أفاك أثيم، وحاشا آل محمد وأولياءهم أن يثبتوا الكمال المطلق الذى رمز إليه هذا الرجل لغير الله تعالى، فهو وحده

ص: 33

ذو الكمال المطلق لا شريك له في ذلك، كما لا شريك له في الربوبية.

نعم، جميع الأنبياء وأوصيائهم كملّة في المروءة و الإنسانية، متفاوتين في كمالهم البشرى على قدر تفاوتهم في الإخلاص لله في العبودية، وكتبنا المختصة صريحة في كل اعتدال، فلتراجع.

الخامس، زعم أنا نقول بأن المعاصي حلال للطالبيين حرام على غيرهم، وهذا من أفحش الأراجيف، قد نحر الأستاذ به نفسه فلم يخطئ الوهدة من لبة صدره، والجاهل يفعل بنفسه ما لا يفعل العدو بعدوه.

أن الشيعة الإمامية لأغزر عقلاً، وأنفذ بصيرة، وأصح تمييزاً من أن يسفوا إلى هذه السخافات التي لا تليق بذي نهيه ولا تكون من ذى مسكة، وتلك

ص: 34

أسفارهم صرح الحق فيها عن محضه، وبان الصبح فيها لذي عينين (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) .

ولو كانت المعاصي عندنا حلالاً للطالبيين لما جرحنا وطرحنا ا مرتكبيها منهم كمحمد وعلى ابني اسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وعمهما عبد الله بن جعفر، وأمثالهم من الفاطميين الذين لا قيمة لهم عندنا بما ارتكبه من المعاصي، فإنه ليس بين الله وبين أحد من عباده هوادة في إباحة شيء حرمه على العالمين.

لعل الستاذ اكتشف هذه التهمة السخيفة من قولنا بعصمة الاثنى عشر، وهم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمناءه على الدين والأمة، فالعصمة ثابتة لهم كثبوتها له ولسائر الأنبياء وأوصيائهم بدليل واحد عقلي مطرد في الجمع.

وليس معناها أن المعاصي حلال لهم، والعياذ بالله وإنما معناها نراهم عن ارتكابها لشدة ورعهم عنها

ص: 35

وعظيم إخلاصهم لله بالتعبد بزواجه وأوامره.

وحضرة الأستاذ لا يجهل مرادنا منها، وإنما نعق بهذا لينعق معه الناعقون : (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) .

السادس، زعم أنا لم نكن بادئ ذي بدء على ما نحن الآن عليه، وأن التشيع إنما كان بتفضيل على بالامامة على الشيخين، وأن متأخرينا أدخلوا في معتقداتنا ما لم يقل به متقدمونا.

وهذا خرس وإرجاف، فإن التشيع من أول أيامه إلى يوم القيامة ليس إلا التمسك بالثقلين كتاب الله عز وجل وأئمة العترة الطاهرة، والانقطاع اليهما في أصول وفروعه وفي كل ما يتصل به أو يكون حوله مع موالاة وليهم في الله، ومعاداة عدوهم

ص: 36

في الله عز وجل (١). هذه هو التشيع الذي كان عليه السلف الصالح منها وخلف البار من ع هـ على وفاطمة بعد رسول الله حتى يقوم الناس لرب العالمين.

وقد أخذنا شرائع الإسلام كلها أصولاً وفروعاً على سبيل التواتر القطعي على كل خلف من هذه الأمة متصلاً بالامامين الباقرين الصادقين، ومن بعدهما من أوصيائهما الميامين (٢).

أما القول بأن متأخرى الشيعة الامامية أدخلوا في معتقداتهم ما لم يقل به متقدموهم فجزاف وتضليل، كالقول

(١) تعبداً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي، وقوله إنما مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، وإنما مثل اهل بيتي فيكم كباب حطة في بني إسرائيل إلى كثير مما صح من السنن في هذا المعنى فلتراجع في المبحث الأول من كتاب المراجعات، بل في المراجعات كافة.

(٢) كما فصلناه في المراجعة الأخيرة من كتاب المراجعات.

ص: 37

بأن متأخرى أهل الذاهب الأربعة أدخلوا في فروعهم ما لم يقل به متقدموهم، وأى فرق بين القولين، لو أنصف المجحفون.

السابع، تقول على الشريف الرضى مالم يقله، ونسب اليه رأياً لم يره، وقد صورّه على ما يشاء تأييداً لمذهبه، كماهى سنته فى تاريخ الحوادث والأشخاص، ومن ذا الذى يجهل رأى الشريف الرضى ومذهبه الذى يدين الله به، وقد ورثه عن آبائه الهداة الميامين:

علماء أئمة حكماء * يهتدى النجم باتباع هداها
ورثوا من محمد سبق أولاهها * وحازوا مالم يحز آخراهها

على أنه خريج مدرسة شيخ مشائخ الشيعة الامامية المفيد أعلى الله مقامه، فهو غرس أياديه، وشقيق الشريف المرتضى لأمه وأبيه، ورفيق شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى، فرأيه رأيهم المنتشر فى المئات من كتبهم الممتعة وإنها لصريحة فى كل ما نحن عليه من مذهب

ص: 38

ومشرب، أصولاً وفروعاً. وحسبك منها كتابا الايضاح والافصاح فى الامامة بعد رسول الله لشيخنا المفيد. وكتاب الشافى للشريف المرتضى، وتلخيصه (١) لشيخ الطائفة الطوسى.

على أن الشريف الرضى - جامع نهج البلاغة - قد صرح برأيه المنعقد عليه قلبه إذ قال فى رثاء جده سيد الشهداء:

تذكرت يوم السبط من آل هاشم * وما يومنا من آل حرب بواحد
اتاحوا له مرّ الموارد بالقنا * على ما أباحوا من عذاب الموارد
بنى لهم الماضون أساس هذه * فعلوا على أساس تلك القواعد

(١) وهما منتشران بالطبع فى إيران.

ص: 39

رمونا كما يرمى الظماء عن الروى * يذودوننا عن إرث جد ووالد
ألا ليس فعل الآخرين وان علا * على قبح فعل الأولين بزائد
كذبتك إن نازعتني الحق ظالماً * إذا قلت يوماً إننى غير واجد

ونسج على منواه تلميذه وخريجه وملك يمينه مهيأر الدليمى فإذا ديوانه مشحون بهذا وبما هو أوضح وأصرح،
وأبلغ حجة، وأشد لهجة، وحسبك منه قصيدته اللامية التى يقول فيها:

وما الخبيثان ابن هند وابنه * وإن طغى خطبهما بعد وجل
بمبدعين فى الذى جاء به * وإنما تقفيا تلك السبل

ومثلها لاميته الأخرى الذى يقول فيها:

ص: 40

حملوه يوم السقيفة أوزاراً * تخف الجبال وهى ثقال
ثم جاؤا من بعدها يستقبلون * وهيهات عشرة لا تقال

وكافيته التى يقول فيها:

ورعى النار غداً جسمٌ * روعى أمس حماك
شرع الغدر أخو غلٍ * عن الإرث زواك

وكثيراً ما كان أدباء الشيعة يأتون على هذا المعنى فى مراثيهم ومنهم الكميت إذ يقول فى إحدى هاشمياته يبكى
سيد الشهداء:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم * فى آخراً أسدى له الغى أول

الثامن، نقل عن أمير المؤمنين القول بأنه لم يظلم مقدار ذرة، قلت هذا يناقض الثابت عنه عليه السلام إذ يقول :
فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مستثأراً علىّ منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا.

ص: 41

وقال: اللهم إني أستعديك على قريش، وم ن أعانهم فإنهم قطعوا رحى، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على
منازعتي أمراً هو لي.

وقد قال له قائل : إنك على هذا الأمر الحريص، فقال : بل أنتم والله لأحرص، وإنما طلبت حقاً هو لي، وأنتم
تحولون بيني وبينه.

وقال في كتاب كتبه ألى أخيه عقيل: فجزت قريشاً عنى الجوازي، فقد قطعوا رحى، وسلبوا سلطان ابن أُمى.

وسأله بعض أصحابه كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به،؟ فقال : يا أخا بنى أسد إنك لقلق الوضين
ترسل فى غير سدد، ولك بعد ذمامة الصهر، وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم، أما الاستبداد علينا بهذا المقام،
ونحن الأعلون نسباً،

ص: 42

والأشدون برسول الله نوطاً، فإنها كانت اثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخريين، والحكم الله،
والمعود اليه يوم القيامة، ودع عنك نهباً صيح فى حجراته.

وقال فى بعض خطبه : حتى إذا قبض رسول الله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج،
ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذى أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رصّ اساسه، فب نوه فى غير موضعه،
معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب فى غمرة على سنة من آل فرعون الخ.

ومن خطبة خطبها بعد البيعة له ذكر فيها آل محمد، فقال : هم أساس الدين، وعماد الدين، إليهم يفىء الغالى وبهم
يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله.

ص: 43

إلى كثير مما هو مأثور عنه وعن أبنائه الطاهرين في هذا المعنى وحسبنا م احتج به على المنبر متظلماً متألماً
يوم قال:

أما والله لقد تقمصها، وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحي ينحدر عنى السيل، ولا يرفى إلى الطير .
الخطبة (١) .

التاسع، زعم أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن أبا بكر أسلم وأنا جذعه، أقول ولا يسمع لقولى.

وهذا شطط من الأضاليل، وحسبنا في بطلانه ما كان في مبدأ الدعوة الإسلامية قبل ظهورها بمكة إذ أنزل الله
تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين) فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى دار عمه ابى طالب، وهم يومئذ
أربعون

(١) هى مع كل ما نقلناه عنه وكثير من أمثاله موجود فى نهج البلاغة فليراجع.

ص: 44

رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أ عمامة أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب . والحديث فى ذلك من
صحاح السنن المأثورة، وفى آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا بنى عبد المطلب إني والله ما أعلم
شأباً فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به، جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه،
فأيكم يوازرنى على أمرى هذا . فقال على - وكان أحدثهم سناً - : أنا يا بنى الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول
الله برقبة على، وقال: إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. أهـ

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع (١) .

(١) تجد مصادر هذا الحديث فى المراجعة العشرين من كتاب المراجعات وفيها علقناه عليها.

ص: 45

قلت: لو لم يكن لأُمير المؤمنين في بدء الإسلام إلا هذا المقام لكفى في تسفيه من قال إنه كان يومئذ إذا قال لا يسمع لقوله بل كان إذا قال بدّ القائلين بجلالة تعنو لها الجباه، وعظمة يخفض لها جناح الضعة.

العاشر، زعم أن الشيعة الامامية أعمتهم السياسق، فأنشأوا من حزب سياسى مذهباً دينياً.

الجواب، أنهم أبعد الناس عن السياسة الظالم أهلها، وعن ساستها، وإنما أعمت هذه السياسة قوماً آخرين أدّى بهم العمه إلى مخالفة نصوصها الجليلة الثابتة عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم : (وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) .

الحادى عشر، زعم أن الشيعة كفّروا كل من لم

ص: 46

يوافقهم على هواهم . قلت: هذه إفكة أفاك، وفرية صواغ يدس النمائم، ويبس العقارب، نعوذ بالله من سماسرة الشقاق، وزرّاع العداوات ظلماً وعدواناً، ونبراً إلى الله من تكفير أحد من أهل الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر، والصلوات الخمس إلى قبله، والزكاة المفروضة وصوم الشهر وحج البيت، ووجوب العمل بالكتاب والسنة وكيف نكفر المسلمين، وقد قال إمامنا الذى نهتدى بهديه، ونكون نصب أمره ونهيه أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام فى صحيح حمران ابن اعين من كلام رفعه اليه : والاسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذى عليه جماعة الناس من الفرق كلها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث وجاز النكاح، وأحتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك عن الكفر وأضيفوا إلى الايمان. أهـ

ص: 47

وقال الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فى خبر سفيان بن السمط: الإسلام هو الظاهر الذى عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان .

وقال عليه السلام فى خبر سماعة: الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله، وبه حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس . إلى كثير مما هو مأثور عنهم فى هذا المعنى مما لا يسعنا استيفاءه، وهذا القدر كاف لتزييف المبطلين، وردّ عاديتهم.

الثاني عشر، زعم أن الشيعة الأمامية أرمضوا نفسه الزكية إذ جاؤا بأشد ما يرمض النفوس، وذلك أنهم عبثوا بالتاريخ على زعمه، وعاثوا فيه بتصوير

ص: 48

الأحداث على ما يقتضيه مذهبهم في موالاة الطالبين، وعداوة الأمويين.

قلت، إنى وأيم الحق لا أعرف مؤرخاً مثله يعيث بالتاريخ ويع بث فيه من أجل الهوى، ومن ألم بما زوره قى خطط الشام وصاغه في مجلة المجمع (١) من مناقب

(١) وحسبك مما زوره من مناقب الأمويين ما تجده في ص ٤٠٨ إلى آخر ص ٤١١ من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع، وما تجده في ص ٤٥٠ وما بعدها إلى ص ٤٥٥ من المجلد نفسه، وهناك تفضيل بنى أمية على قريش، وهناك شرف ابى سفيان بالخصوص، وعلو مكانته في باحة الشرف في الجاهلية والاسلام، وهناك تميز نساء بنى أمية في ملكاتهن وشرف نفوسهن على نساء العرب، ولا سيما جويرية بت ابى سفيان وهند بنت عتبة التي يقول فيها حسان بن ثابت:

لعن الآله وزوجها هند الهنود * البيت

وهناك ممن ابى سفيان وابيه حرب على العرب، وتميز معاوية بأعوانه ومقوية سلطانه فيما يصلح الاسلام، وهناك ميزات بنى أمية ولا سيما مروان «الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون» وبنوه، كالوليد وسليمان ويزيد وهشام والوليد بن يزيد، وهناك تأثيراتهم الدينية والمدنية وخصائص قوادهم ومناهج عمالهم التي تركوها أحدى في الغابرين. وهناك الخيانة بتصوير الأحداث بخلاف ما كانت عليه في الواقع وتزويرها على ما يقتضيه هواه في سلفه الصالح من بنى أمية واعوانهم، فراجع، واعجب من امانة الأستاذ على التاريخ، و بعده عن التحزب، والتعصب لتلك الجيف المنتنة التي ملأت الدنيا وباء في الأخلاق.

ص: 49

بنى أمية، ومثالب خصومهم وجد العيث الفظيع بتصوير الأمرين على ما يقتضيه هواه في بنى أمية، وانحرافه عن خصومهم، ولا سيما أهل البيت وأشباعهم ومن هنا صورنا حضرة الأستاذ كذبة لانؤمن على التاريخ، غلاة في

الطالبين قائلين بأن لهم الكمال المطلق، وانهم فوق البشر، وأن المعاصي حلال لهم، إلى آخر ما سمعت ارجافه بنا، والآن يحملنا وزره الذي أنقض ظهره من العيث في التاريخ، فكان في كل ذلك مصداق المثل السائر - رمتني بدائها وانسلت - الثالث عشر، تسور الأستاذ على مقام الشيخ

ص: 50

رشيد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب شيخ مشائخ الإمامية في عصره وصاحب كتابي المناقب والمعاليم وغيرهما من الكتب الممتعة فشتمه وازدري به على غير ذنب للرجل الآو رعه، وإخلاصه في علمه وعمله وأحاطته بالسنن المقدسة وآثار أهل بيت الرحمة، ولا غرو في تسفيه الأستاذ إياه، فإن المرء عدو ما جهل.

وكفى في فضل ابن شهر آشوب اذعان الفحول من أعلام أهل السنة له بجلالة القدر وعلو المنزلة، وقد ترجمه الشيخ صلاح الدين الصفدي خليل بن أبيك الشافعي، فذكر أنه حفظ أكثر القرآن الكريم وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة، (قال) وكان يرحل إليه من البلاد، ثم تقدم في علم القرآن، والغريب، والنحو، ووعظ على المنبر

ص: 51

أيام المقتفى ببغداد، فأعجبه وخلع عليه (قال) وكان بهي المنظر حسن الوجه والشبيبة، صدوق اللهجة، مليح المحاورة، واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتهجد، لا يكون إلا على وضوء (قال) وأثنى عليه ابن أبي طي في تاريخه ثناء كثيراً، توفي سنة ٥٨٨ انتهى كلام الصفدي.

وذكره الفيروز آبادي في محكي بلغته، وأثنى عليه بما يقرب من ثناء الصفدي، وذكر أنه عاش أكثر من مائة سنة إلا عشرة أشهر.

وعن بعض أهل المعاجم في التراجم من أهل السنة أنه قال في ترجمته، وكان إمام عصره، ووحيد دهره أحسن الجمع والتأليف، وغلب عليه علم القرآن والحديث، وهو عند الشيعة كالخطيب البغدادي لأهل السنة في تصانيفه وتعليقات الحديث

ص: 52

ورجاله ومراسيله، ومتفقه ومتفرقه إلى غير ذلك من أنواعه، واسع العلم، كثير الفنون مات في شعبان سنة ٥٨٨.

الرابع عشر، زعم الأستاذ أن كتاب الشيخ ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب كله سخافات وخرافات وكذب وهو من أسخف سلسلة سخافات الشيعة، واسترسل في هذا الكلام العذب اللطيف الدال على حكمة المتكلم وأخلاقه.

ونحن ننصف الأستاذ، فإنه لا يستطيع أن يسمع بذكر آل محمد، فضلاً عن خصائصهم، ولئن عدها سخافة وخرافة، وعد مؤلفها سفيهاً فلا حرج عليه، فإن له مذهبه ولنا مذهبنا، ولو كان كتاب ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي سفيان، أو آل أبي معيط، أو آل أبي العاص لكان على رأى الأستاذ

ص: 53

زبوراً وكانت مضامينه هدى ونورا.

استبدلو والله الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل فجدهاً لمعاطس قوم، يحسبون أنهم يحسنون صنعا (ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ، (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم)

كلام الأستاذ بلفظه

قال (١): ولشيعة المسعودي، مدخل كبير في آرائه، لأن من جوزوا الكذب على مخالفيهم، وغلوا في حب الطالبين، حتى جعلوهم فوق البشر،(١)

(١) في آخر صفحة ٣٩٥ والتي بعدها؛ من المجلد ٢٢ من مجلة المجمع.

ص: 54

وجعلوا لهم الكمال المطلق، وأن المعاصى حلال لهم، حرام على غيرهم، لا يؤتمنون على التاريخ، (١) والمتعصب لفئته يجب الإحتياط فى الأخذ عنه (٢) بخلاف المتسامح الذى لاضلع له مع أحد، (٣) وما خدم به المسعودى الشيع، لم يرض به الشيعة (٤)

(١) أفردنا لكل من هذه التهم الخمس، كلاماً خاصاً بها، فكان والحمد لله، على ما يرضى به الله ورسوله وأولى الألباب.

(٢) قضى الرجل بها على نفسه، فإن تعصبه لفئته الأموية، ثابت لكل من ألم بخطط الشام، أو بمجلة المجمع، أو يكرد على نفسه، أو بمجرد طبعه أو وضعه.

(٣) ما أجزأ هذا الرجل على الدعاوى الباطلة، فأن ضلعه الضليغ، مع آل أبى العاص وسائر الأمو يبين، ثابت بمحاضراته ومناظراته، وسائر نقشات فمه ولسانه، المسخرين لأعداء الله ورسوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) .

(٤) لئن لم يرض بعض الشيعة، بمروج الذهب إذ لم يخدمهم به، فقد أرضاهم بما خدم به الحقيقة، من غير تقية، ككتابه فى الإمامة، وهما الإستبصار والصفوة، وكتابه فى إثبات الوصية لأمر المؤمنين، وكتابه أخبار الزمان الذى يحيل عليه، فى مروج الذهب.

ص: 55

فهو مخالف للإماميين والجماعيين وكل فريق يريد أن يكون له وحده، وأن يقبل مذهبه بحذافيره، ويدافع عنه بالحق والباطل (١)، والتشيع، ما كان بادئ ذى بدء، إلا بتفضيل على بالإمامة على الشيخين (٢)، حتى أن الشريف الرضى، من اكبر أئمتهم، كان يترضى عن الشيخين، ويشمئز ممن ينالهما بسوء، ويقول : أنهما وليا وعدلا (٣)، وكذلك شأن جده الاعلى، أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه (٤) كان يقول: أن ابا بكر ما ظلمانى

(١) أن أهل الحق فى غنية بحقهم عن الدفاع عنه بالباطل ل، وإنما يدافع بالباطل عن الظلال حيث لا دليل عليه سوى الأباطيل.

(٢) بل كان ماهو عليه الآن، كما ذكرناه فى ص ٣٧

(٣) هذا كله كذب وافتراء على الشريف الرضى والثابت عنه ما نقلناه فى ص ٣٨ فراجع.

(٤) يريد الأستاذ أن يستر ما انطوت عليه احناء صدره، وانحتت عليه اضلعه، فقال مرغماً على امير المؤمنين، كرم الله وجهه.

ص: 56

ذرة، (١) وان ابا بكر اسلم وانا جذعة، أقول فلا يسمع لقولى فكيف اكون احق بمقام ابى بكر (٢)

(قال): عفا الله عن قوم أعمتهم السياسة (٣) فأنشأوا من حزب سياسى مذهباً دينياً (٤) وكفّروا كل من لم يوافقهم على هواهم (٥) وجاء متأخروهم فأدخلوا فى معتقداتهم، ما يقل به متقدموهم (٦) من أخلص الناس لدعوتهم، وفرقوا بين أجزاء

(١) هذا لم يثبت عن أمير المؤمنين والثابت عنه ما اورده ص ٤٠ فراجع.

(٢) هذا يناقض الثابت عن أمير المؤمنين وعلو مقامه يوم اسلم كما بيناه فى ص ٤٣ فراجع.

(٣) السياسة إنما أعمت من لم يبصر نصوصها عن نبیه كما بيناه سابقاً.

(٤) لاوجه لهذا الكلام سوى الأرجاف والمجازفة.

(٥) كذب علينا من نسب إلينا تكفير المسلمين، كما أوضحناه فى ص ٤٥ وما بعدها فراجع.

(٦) هذا مجرد عدوان، والله المستعان.

ص: 57

القلوب (١) قال: وأشد ما يرمض النفوس، فى هذا الباب أن يعبث بالتاريخ، من أجل المذهب، ويموه السخفاء، ليصوّروا الأحداث، على ما يشاؤون لتأييد مذهبهم (٢) هذا نص كلامه وقد علق عليه فقال ما هذا لفظه : ومن سفهائهم رجل اسمه شهرا شوب (٣) من أهل القرن السادس، كتب كتاباً فى مناقب

(١) إنما شق عصا المسلمين وفرق قلوبهم، اهل الظلم والعدوان. والأفك والبهتان.

(٢) هذه الكلمة فى نفسها حق، اجراه الله على لسانه لتكون حجة عليه، فإن دأبه ود يدنه العبث بالتاريخ من أجل هواه لكن الرجل أراد بها الباطل، كالتى رمتنى بدائها وانسلت.

(٣) بل هو الشيخ رشيد الدين ابو جعفر، محمد بن على بن شهر اشوب، المشهور بفضله وتقواه ورشده وهداه بشهادة جماعة من اعلام أهل السنة، كما بيناه فى الاصل قريباً فراجع.

ص: 58

آل أبى طالب (١) ، حشاه كذباً واختلافاً (٢) ، ما نظن عاقلاً فى الأرض يوافقه عليه (٣) ، وكتابه من أسخف ما أثر، من سلسلة تلك السخافات (٤) ، ستم فيه الصحابة الكرام كلهم (٥) ، ما عدا بضعة منهم، كانوا مع على، واختلق كل قبيح، ألصقه برجال لا يدين الإسلام لغيرهم فى انتشاره (١) ،

(١) هذا جرمه الذى أبيع به ظلمه.

(٢) بل قوله هذا هو الكذب والإختلاف.

(٣) بل يوافقه من المسلمين مائة مليون من الشيعة، فيهم الحكماء والعلماء والأدباء والساسة المدبرون، والفلاسفة المفكرون واهل الورع والأحتياط والقوة والنشاط.

(٤) هذا مجرد أرجاف وأجحاف فلا قيمة له.

(٥) ما شتم الصحابة الكرام وانما شتم المنافقين اللثام لنفاقهم فى دين الإسلام.

(٦) هذا عدوان وبهتان وتحريش وتأريش وسعى بين المسلمين بالكاذيب والتضاريب نعوذ بالله من رسل الشر وسفراء السوء وسماسرة الشقاق وتجار الفساد وزراع العداوات وبه نعوذ من شرورهم وندراً به في نحورهم.

ص: 59

وأورد من الشعر لإثبات أباطيله، ما هو سبّة على قائله وناقله، على وجه الدهر (١).

استئناف الإحتجاج على هذا العدوان بشكل آخر

كان الأجدر بنا، إذ بلغ الأستاذ من ظلمنا هذا المبلغ، أن نعمل بقوله تعالى، مخاطباً لأعز خلقه عليه؛ وأقربهم منزلة إليه (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)، (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)،

(١)

من كان يخلق ما يقول * فحيلتي به قليلة

ص: 60

على أن الترفع عن استعراض هذه الثروات، التي لا وزن لها أولى بنا، وبمثلنا العليا، إذ لو قام بها مرجف مجحف، من مجازفى القرون الوسطى لوسعه الناس إنكاراً، فما قيمة عرضها اليوم على الناس، والناس لا يكادون يؤمنون بغير المحسوس، والمحسوس الملموس من مذهبنا، المتمثل فى أعمالنا و أقوالنا، والألوف المؤلفة من أسفارنا؛ خلاف ما يرجفون لكنى - مع ذلك - أثرت الاقتداء بالذكر الحكيم، والفرقان العظيم إذ يقول (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيدهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) ، (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة تعالى عما يشركون) ،

ص: 61

ونحن لو كلفنا الأستاذ، بإثبات شيء مما عزاه إلينا لأخرجناه مزجوراً مدحوراً، بل لو اجتمع الأمويون بضرارهم، والخوارج بحثالتهم، والنواصب بطغامهم وسائر أعداء الله ورسوله، بقضيمهم وقضيضهم، على أن يأتوا بدليل على تلك المفتريات، لا يأتون به، ولو كان لبعضهم ظهيراً، وهـ أنا نتحداهم، هاتفين: (هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين).

والأستاذ قد كاشر كثيراً من رجال الشيعة، وحاضر في أنديتهم وتقلب بينهم، متخللاً دهماءهم، وابلى أخلاق كثير من فضلائهم، ولا سيما شركاؤه في المجمع، متعرفاً دخائلهم، فهل استشعر من أحدهم شيئاً، مما قذفهم به، ؟ كلا ثم كلا، بل رأى منهم بعينيه، وسمع منهم بأذنيه، ولمس منهم بكلتا يديه، هدى محمد وآل محمد، ماثلاً في

ص: 62

أقوالهم؛ جلياً في أفعالهم، وبهذا دبت بيننا وبينه عقارب الحسد، وسعت آكلة الأكباد.

وأن مما يثير العجب والاستغراب، أن سخافات الأستاذ، التي بهتنا بها - على ريق لم يبلعه، ونفس لم يقطعة - لو بهت بها أمة أبادها الله قبل الطوفان مثلاً، فانمحت آثارها وأخبارها، من عالم الوجود، لكان له أن يأمن من الفضيحة.

أما وقد أرسلها عنهم حوله وفي مجمعه، وهم هم كما يعلمهم قد ملأوا الدنيا الإسلامية، بعلمهم الغزير، وعملهم الصالح، وآثارهم الممتعة الخالدة فإنه لا محالة مغلوب بنشوته على عقله.

ولو أن الأستاذ سبر غور ابن شهر آشوب العبد الصالح الذي ما عصى الله تعالى منذ عرفه، ما حكم عليه بالسفه والاختلاق، ولو أمعن في كتابه لعرف

ص: 63

انه. نصح فيه الله تعالى وكتابته ولسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم، لكن الأستاذ لا يطبق ذكر آل أبي طالب فضلاً عن سبر غورهم وتدبر مناقبهم فحكمه على ابن شهر آشوب وعلى كتابه لم يكن عن تثبيت أو روية وإنما كان عن حسيكة مضمرة وعين ساخطة وتلك بينته على ما ادعى، وبها نعى علينا كل ما نعى والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات بناؤها ادعاء.

ولو أن زوطياً أو كردياً ألّف في مناقب آل أبي العاص أو آل أبي معيط لعدّه السّناذ في الرّغيل ممن عندهم مقطع الحقّ ومشعب السّداد، ولجعل مؤلفه الحدّ الفاصل، بين الحقّ والباطل، ومن عشق شيئاً أعشى بصره، وأمّرض قلبه.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

ص: 64

ولو فرض ان في كتاب ابن شهر آشوب أحاديث لا يعرفها الأستاذ ولا يتعرف عليها امثاله، بل لو فرض ضعفها عندنا فأى وزر يلحق الرجل بإيرادها في كتابه وكتابه غير خاص بصحاح السنن، ولا هو ممن أخذ على نفسه شرطاً في جمعه وقد استمرت سيرة السلف والخلف من اثبات الأمة كافة على جمع كل ما هو مأثور من السنن من غير انتفاء ولا تمحيص ولا سيما السنن المأثورة في المناقب، وعلى جواز ذلك انعقد الإجماع العملي من جميع فرق المسلمين من صدر الإسلام الى هذه الأيام (١)

وهل هو الا واحد من مئات الأثبات سلکوا

(١) لا كلام في أكثر اصحاب المسانيد من اثبات اهل السنة لم يحصوا ما اثبتوه في مسانيدهم بل اثبتوا المأثور من ذلك سواء أكان صحيحاً ام غير صحيح إذ لم يكونوا إلا في صدد الجمع فقط احتفاظاً بالمأثور واحتياطاً على ان لا يضيع منه شيء وتركوا التمهيص لغيرهم.

ص: 65

في حفظ المأثورات مسلک الاحتفاظ بها، والاحتياط عليها، بجمعها كلها على علائها لئلا يفوت الأمّ ة شيء منها، وتركوا تمحيصها - وهو واجب كفائي - اعتماداً على جهابذة آخرين تخصصوا بالتمحيص وهم أهلها.

تنبيهان الى سخافات

التنبية الاول

وبهذه المناسبة ننبه الأستاذ إلى أن صحيحى البخارى ومسلم لم يسلموا من المآخذ التى أخذها على مناقب ابن شهر آشوب، مع ما أخذه الشيخان وسائر الستة من الشروط على أنفسهم التى لم يأخذ ابن شهر آشوب على نفسه شيئاً منها، وحسب الأستاذ ما أوردناه فى كتابنا «أبو هريره» المنتشر، وقد قدمنا للمجمع لنقده، وبيان رأى المجمع فيه، وأظن الأستاذ وقف منه على الفصل ١١ المنعقد لبيان

ص: 66

كيفية حديث أبى هريره، وهناك اربعون حديثاً من سخافاته فى الصحيحين، وقد علقنا على كل منها ما اقتضاه العلم، والدين، والأنصاف، والأمانة، فيجدر بكل علامة بحاثه أن يقف على ذلك الفصل، ولا يفوته شيء من الكتاب، واليك الآن من تلك الأربعين خمسة، ومن غيرها خمسة، فتلك عشرة من سلسلة مانظن عاقلاً فى الأرض يوافق على شيء منها.

الاول، ما أخرجه الشيخان وغيرهما (١) فى فضل أبى بكر وعمر، بالاسناد إلى أبى هريره قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: بينا رجل يسوق بقرة إذ

(١) تجد الحديث فى باب فضل أبى بكر من الجزء الثانى من صحيح البخارى، وتجده فى فضائل أبى بكر من الجزء الثانى من صحيح مسلم، وقد أخرجه فى مواضع أخر من صحيحيهما وأخرجه أحمد فى اول ص ٢٤٦ من الجزء الثانى من مسنده عن أبى هريره بطرق كثيرة.

ص: 67

ركبها فضربها. فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث، فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: فإنى أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثم. وبيننا رجل فى غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلبها حتى استنقذها منه. فقال له الذئب: استنقذتها منى، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعى لها غيرى؟. فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم قال صلى الله عليه وآله وسلم: فإنى أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم قلت: ما

أغنى أبا بكر وعمر، عن هذه الفضيلة، المستحيلة، وليت عمر سمع أبا هريرة يحدث بها . ولو فعل ذلك على عهدہ لأدمى ظهره وأعذر إلى الله فيه، ونحن نؤمن بآيات الله، وبجلالة أبي بكر وعمر، وعلو

(١) أى وما هما بحاضرين هناك.

ص: 68

منزلتها فى الاسلام. لكننا ننكر هذا الحديث كل الإنكار، فإن سنة الله فى خلقه تحيل كلام البقرة والذئب إلا فى مقام التحدى والتعجيز حيث يكون آية للنبوة، وبرهاناً على الاتصال بالله عز وجل . ومقام الرجل حيث ساق بقرته إلى الحقل فركبها فى الطريق لم يكن مقام تجدى وإعجاز لتصدر فيه الآيات الخارقة لنواميس الطبيعة وكذلك مقام راعى الغنم حين عدا الذئب عليه، فلا سبيل إلى القول بإمكان صحة هذا الحديث عقلاً فإن المعجزات وخوارق العادات لا تقع عبثاً بأجماع العقلاء من بنى آدم كلهم. الثانى: ما أخرجه الشيخان فى صحيحيهما، والإمام أحمد فى مسنده وغيرهم فى فضائل موسى عليه السلام عن أبى هريرة مرفوعاً قال : كان بنو إسرائيل يغتسلون عراً ينظر بعضهم إلى سواة بعض، وكان موسى عليه السلام

ص: 69

يغتسل وحده. فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر - ذو أدرة وهى الفتق - قال : فذهب مرة ليغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه . فجمع موسى بأثره يقول : نئبى حجر! ثوبى حجر! حتى نظر بنو اسرائيل إلى سواة موسى ! فقالوا: والله ما بموسى من بأس. فقام الحجر بعد حتى نظر اليه أخذ موسى ثوبه فطفق بالحجر ضرباً! فوالله إن الحجر ندباً ستة(١) أو سبعة الحديث(٢) .

قلت: وفى الصحيحين - عن أبى هريرة - إن هذه الواقعة هى التى أشار الله اليها بقوله تبارك اسمه

(١) الفت أولى الالباب إلى تردد ابى هريرة فى عدة الندب.

(٢) راجعه فى باب فضائل موسى من الجزء الثانى من صحيح مسلم، وأخرجه البخارى فى باب من اغتسل عرياناً من كتاب الغسل وفى مواضع آخر عديد، وأخرجه أحمد من حديث أبى هريرة من طرق كثيرة فراجع ص ٣١٥ من الجزء الثانى من مسنده.

ص: 70

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وحيها) .

وانت ترى ما فى هذا الحديث من المحال الممتنع عقلاً فإنه لا يجوز تشهير كليم الله بإبداء سواته على رؤوس الأَشْهاد من قومه لأن ذلك ينقصه ويسقط من مقامه ولا سيما إذا رآوه يشتد عارياً ينادى الح جر ! - والحجر لا يسمع ولا يبصر - : ثوبى حجر! ثوبى حجر! ثم يقف عليه وهو عارى أمام الناس يضر لسان حال الحجر يقول له:

ضربتني بكفها بنت معن * أوجعت كفها وما أوجعتني

والناس تنظراليه مكشوف العورة مرهقاً، على أن فرار الحجر ككلام البقرة و الذئب يخاف سنة الله فى خلقه فلا يمكن صدوره إلا فى مقام التحدى والاعجاز

ص: 71

ومقام نبى الله موسى حين اغتسل لم يكن مقام تحدٍ وتعجيز لتصدر فيه الآيات وخوارق العادات . ثم أن هرب الحجر بثيابه لا يبيح له هذا الطيش بإبداء عورته، وهتك حرمة، وقد كان فى وسعه أن يبقى فى مكانه حتى يؤتى بثيابه كما يفعله كل ذى لب إذا ابتلى بمثل هذه القصة.

أما براءته من الأدره فليس من الأمور التى يباح فى سبيلها هتكه وتشهيره، ولا هى من الأمور التى يمكن ان يصدر بسببها الآيات والمعجزات إذ يمكن العلم ببراته منها يخبر نساءه، ولو فرض عدم امكان براءته من الأدره فأى ضرر يلحقه بذلك والأنبياء كلهم معرض لأمثالها . وقد أصيب شعيب عليه السلام ببصره وأيوب عليه السلام بجسمه، وأنبياء الله كافة تمرضوا وماتوا صلوات الله وسلامه عليهم، ولا يجب

ص: 72

عقلاً انتفاء مثل هذه العوارض عنهم، ولا سيما اذا كانت مستورة . نعم لا يجوز عليهم ما يوجب نقصاً في مشاعرهم أو مروّتهم أو يوجب نفرة الناس عنهم والأدرة ليست في شيء من ذلك . على أن القول بأن بنى إسرائيل كانوا يظنون أن في موسى أدرة لم ينقل إلا عن أبي هريرة، فليعطف هذا على سائر غرائبه .

إما الواقعة التي أشار الله اليها بقوله عز من قائل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) فالمروى عن علي عليه السلام وابن عباس أنها قضية اتهامهم إياه، بقتل هرون، وهو الذي اختاره الحبائي وقيل هي قضية المومسة التي أغراها قارون بقذف، موسى بنفسها فبرأه الله تعالى إذ أنطقها بالحق، وقيل آذوه إذ نسبوا اليه السحر والكذب والجنون.

ص: 73

الثالث ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما بالاسناد إلى أبي هريرة قال : جاء ملك الموت الى موسى عليهما السلام فقال له: أجب ربك. قال أبو هريرة: فلطم موسى ففقاها ! فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ففقا عيني. قال: فرد الله عينه وقال: ارجع إلى عبدى فقل: الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت بيدك من شعرة فأنتك تعيش بها سنة، الحديث(١) .

وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة في ص ٣١٥ من الجزء الثاني من مسنده ولفظه عنده: إن ملك

(١) أوردناه بلفظ مسلم في باب فضائل موسى من الجز الثاني من صحيحه، وأخرجه البخاري في باب وفاة موسى من الجزء الثاني من صحيحه وفي باب من أحب الدفن في الارض المقدسة من الجزء الأول.

ص: 74

الموت كان يأتي الناس عياناً فأتى موسى فلطمه ففقا عينه الحديث.

وأخرجه ابن جرير الطبري في الجزء الأول من تاريخه عن أبي هريرة وذلك حيث ذكر وفاة موسى ولفظه عنده : إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقا عينه إلى أن قال : إن ملك الموت إنما جاء إلى الناس خفياً بعد موت موسى(١) .

وانت ترى ما فيه مما لا يجوز على الله تعالى ولا على أنبيائه ولا على ملائكته، أيليق بالحق تبارك وتعالى أن يصطفى من عباده من يبطش على الغضب بطش الجبارين؟ ويوقع شره وأذاه حتى في ملائكة الله.

(١) لو كان الأمر كذلك لتواترت به الأخبار فما بال المحدثين والمؤرخين وأهل الأخبار من جميع الأمم أغفلوا هذا الخبر لو كان له أثر وما بال القصاصين والمخرفين ما حام خيالهم حوله ولعلمهم تركوا الامتياز بهذه السخافة لابی هريرة.

ص: 75

المقربين؟ ويعمل عمل المتمردين ويكره الموت كراهة الجاهلين، وكيف يجوز ذلك على من اختاره الله لرسالته واصطفاه لوحيه، وآثاره بمناجاته، وجعله من سادة أنبيائه ورسله؟ ! وكيف يكره الموت هذه الكراهة الحمقاء مع شرف مقامه ورغبته في القرب من الله تعالى والفوز ببقائه؟ ! وما ذنب الملك عليه السلام؟ وإنما هو رسول الله اليه وبما استحق الضرب والمثلة فيه بقلع عينه؟ ! وما جاءه إلا عن الله وما قال له: سوى أجب ربك، أيجوز على أولى العزم من الرسل أذى الكروبيين من الملائكة وضربهم حين يبلغونهم رسالة ربهم عز وجل؟ ! تعالى الله وتعالى أنبيأؤه وملائكته عما يقول المخرفون علواً كبيراً. ونحن إنما برئنا من أصحاب الرس وفرعون موسى وأبى جهل وأمثالهم لأنهم صدوا عن أمر الله وآذوا رسله إذ

ص: 76

جاؤوهم بأوامره، فكيف تجوز مثل فعلهم على أنبياء الله وصفوته؟ حاشا لله ومعاذ الله، إن هذا ليهتان عظيم.

ثم أن قوة البشر بأسرهم بل قوة جميع الحيوانات لا تنبت أمام ملك الموت فكيف والحال هذه تمكن موسى من الوقعة فيه؟ وهلاً دفعه الملك عن نفسه مع قدرته على إزهاق روحه وكونه مأموراً من الله تعالى بذلك؟

وهل للملك عين يجوز أن تفقأ؟ ! كلا ثم كلا.. ولا تنس حق الملك، وذهاب لطمته وعينه هدرأ، إذ لم يؤمر الملك من الله بأن يقتص من موسى صاحب التوراة التي كتب الله فيها : (أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن واللسن باللسن والجراح قصاص) بل لم يعاقب الله موسى على فعله هذا بل أكرمه أذا خيرته بسببه بين

ص: 77

الموت والحياة بقدر ما تواريه يده من شعر الثور.

وأنى لأعجب من الشيخين يخرجان هذه السخافة والتي قبلها فى فضائل موسى، وما أدرى أى فضيلة بالتمرد على الله وملائكته وأى منقبة بإبداء العورة للناظرين وأى وزن لهذه السخافات التي راقت حضرة الأستاذ محمد كرد على وأرمد نفسه ابن شهر آشوب بمناقبة آل أبى طالب.

الرابع ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة قال: خفف على داود القرآن فكان يأمره بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج، الحديث (١)

قلت: هذا محال من وجهين.

أحدهما أن القرآن إنما أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين

(١) راجعه فى باب قوله تعالى: وآتيناه داود زبوراً ص ١٠١ من الجزء الثالث من صحيحه فى كتاب تفسير القرآن.

ص: 78

محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقبله لم يكن، فكيف يقرؤن داود عليه السلام.

أجابوا بأن المراد بالقرآن هنا إنما هو الزبور والتوراة وأنه إنما سماه قرآناً لوقوع المعجزة بهما كوقوعها بالقرآن فيكون المراد به مصدر القراءة لا القرآن ال منزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم . قلت: فى هذا الجواب نظر إذ حملوا فيه كلام أبى هريرة على مالم يقصده والله أعلم.

ثانيهما: أن مدة اسراج الدابة لتضييق عن قراءة القرآن، سواء أريد به المنزل على رسول صلى الله عليه وآله وسلم أم أريد به الزبور والتوراة، ومن المقرر بحكم الضرورة العقلية امتناع وقوع الفعل فى وقت لا يسعه، وهذا مما لا سبيل إلى التشكيك فيه فيه أبداً وإذا لا يؤبه بما ذكره العلامة القسطلانى فى شرح

ص: 79

هذا الحديث من إرشاد السارى إذ قال : وقد دلّ هذا الحديث على أن الله تعالى يطوى الزمان كما يطوى المكان لهم قال النورى: إن بعضهم كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً بالنهار ولقد رأيت أبا الطاهر فى القدس الشريف سنة سبع وستين وثمانمائة وسمعت عنه إذ ذاك أنه كان يقرأ فيهما أكثر من عشر ختمات بل قال لى شيخ الاسلام - البرهان ابن أبى شريف أدام الله النفع بعلمه - عنه: أنه كان يقرأ خمس عشرة ختمة فى اليوم واللية (قال): وهذا باب لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفهوض الربانى، انتهى بلفظه. قلت: بل لا سبيل إلى تصديقه إلا إذا أمكن وضع الدنيا على سعتها فى البيضة على ضيقها.

وأولو الألباب يعملون أن طى الزمان و طى المكان

ص: 80

كليهما مما لا حقيقة له، ولو فرض وقوعهما فطىّ الزمان هنا يزيد فى المسألة اشكالا ويوضحها محالا.

ولا نعم لو قال بطى الكلام أو قال بتوسيع الوقت فى هذا المقام لكان أنسب لهذه السخافة وإن كان كل منهما محالا.

يمكن أن يكون ما نقله فى هذا الحديث عن داود معجزة له عليه السلام لأن معجزات الأنبياء خوارق للعادة، وهذا خارق للعقل كما هو واضح لمن كان ذا عقل.

الخامس أخرج الشيخان عن أبى هريرة مرفوعاً (١) قال: فقدت أمة من بنى إسرائيل لا يدري ما فعلت وانى لا أراها إلا الفأر، إذا وضع لها ألبان الابل

(١) فى ص ١٤٥ من الجزء الثانى من صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق وفى باب الفأر وانه مسخ ص ٥٣٦ من الجزء الثانى من صحيح مسلم.

ص: 81

لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاه شربت، الحديث، قلت : هذا من السخافة بمثابة ترباً عنها الأمة الوكعاء، إلا أن تكون مدخولة العقل، فأين أولو الألباب ينظرون إلى ما فى ها من التخريف فى أصل الدعوى وفى دليلها، لكن

الشيخين يلبسان هذه الخرافة على غنائتها، ويحتجان بمخرفها، على نزوعه إلى الغرائب، وولوعه بالعجائب، وهيامه بخوارق العادات وبما هو فوق النواميس الطبيعية، كفرار الحجر بثياب موسى، وكضربه ملك الموت حتى فقأ عينه، وككلام الذئب والبقرة بلسان عربي مبين يفصحان عن عقل وعلم وحكمة، والآن يحدثنا بأن أمة من بنى إسرائيل مسخت فأراً إلى آخر ما حدث به مما لم يقع أصلاً ولا هو واقع قطعاً ولن يقع أبداً، وسنة الله في خلقه تحيل وقوعه

ص: 82

إلا في مقام تحدى الأنبياء حيث يكون آية على اتصالهم بالله عز سلطانه كما أسلفناه.

ولو ان هذه الخرافات لا تعود على الإسلام بوصمة لقلدنا الشيخين حبهما، لكنها السنة المعصومة يجب الذود عن حياضها بكل ما أوتى المسلم من قوة عقلية وعلمية وعملية، فأن هذه الخرافات من أعظم ما منى به الإسلام من الآفات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

السادس ما أسندوه إلى عاشة أم المؤمنين. قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب اليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فجاءه الملك.

فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني

ص: 83

حتى بلغ الجهد، ثم أرسلني . فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم . قالت عائشة: فرجع بها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجف بها فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال : زملوني، زملوني، فزملوه.

فقال لخديجة وقد اخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق . قالت عائشة: فانطلقت به خديجة حتى أتت به ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر، وكان يكتب الكتاب العبراني، فكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء

الله أن يكتب، وكان شيخناً كبيراً قد عمى . فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من أخيك . فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعاً - شاباً - ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال: أو مُخرجي هم؟ الحديث (١) .

تراه نصاً فى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان - والعياذ بالله - مرتاباً فى نبوته بعد نزوله عليه، وأنه كان من الخوف على نفسه فى حاجة إلى زوجته تشجعه، وإلى ورقة الهمّ الجاهلى

(١) تجده فى باب بدء الوحي من الجزء الاول من صحيح البخارى، وفى تفسير سورة أقرأ من جزئه الثالث، وأخرجه أيضاً فى التعبير والايمان وتجده فى الايمان من صحيح مسلم، وأخرجه الترمذى والنسائى فى التفسير.

المتنصر يثبت قدمه، ويربط على قلبه، ويخبره عن مستقبله إذ يخرجهم قومه، وكل ذلك ممتنع محال.

وقد أمعنا فى أخذ الملك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغطّه إياه مرتين يبلغ منه الجهد فيأخذ نفسه، ويرجف فؤاده، ويخيفه على مشاعره، فلم نجد له وجهاً يليق بالله تعالى، ولا بملائكته، ولا برسله ولا سيما م ع اختصاص خاتم النبيين بهذا، إذ لم ينقل عن أحد منهم عليهم السلام أنه جرى له مثل ذلك عند ابتداء الوحي اليه، كما صرح به بعض شارحي هذا الحديث من صحيح البخارى (١) .

وقد وقفنا على المحاوراة التى جرت - بمقتضى هذا الحديث السخيف - بين الملك والتى فرأينا النبى صلى

(١) راجع من إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى ص ١٧١ من جزئه الاول.

الله عليه وآله وسلم بعيداً كل البعد عن فهم مراد الملك من تكليفه إياه بالقراءة . إذ قال له : اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ، فإن مراد الملك إن يتابعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يتلوه عليه، لكن النبي إنما فهم منه أن ينشئ القراءة في حال أنه لم يكن قارئاً وكأنه ظن - والعياذ بالله - أنه يكلفه بغير المقدور، وكل ذلك ممتنع ومحال، وما من شك لي أنه فريضة ضلال، وهل يليق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يفهم خطاب الملك؟ أو يليق بالملك أن يكون قاصراً عن الأداء فيما يوحيه عن الله، تعالى الله وملائكته ورسله عن ذلك.

فالحديث باطل من حيث متنه، وباطل من حيث سنده، وحسبك في بطلانه من هذه الحيشية كونه من المراسيل، بدليل أنه حديث عما قبل ولادة عائشة بسنين

ص: 87

عديدة، فإنها إنما ولدت بعد المبعث بأربع سنين في أقل ما يفرض، فأين هي عن مبدأ الوحي؟ ! وأين كانت حين نزول الملك في غار حراء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فان قلت: أي مانع لها أن تسند هذا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا سمعته ممن حضر مبدأ الوحي.

قلنا: لا مانع لها من ذلك، غير أن الحديث في هذه الصورة لا يكون حجة، ولا يوصف بالصحة، وإنما يكون مراسلاً حتى نعرف الذي سمعته منه، ونحرز عدالته، فإن المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم كانوا كثيراً، وكان فيهم من يخفى نفاقه على عائشة، بل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم)

ص: 88

والقرآن الكريم يثبت كثرة المنافقين على عهد النبي وإخواننا يوافقونا على ذلك، لكنهم يقولون ان الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأجمعهم عدول، حتى كأن وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيهم كان موجباً لنفاق المنافقين منهم، فلما لحق بالرفيق الأعلى، وانقطع الوحي، حسن اسلام المنافقين، وتم إيمانهم، فإذا هم أجمعون أكتعون أبصعون ثقة عدول مجتهدون لا يسألون عما يفعلون، وإن خالفوا النصوص، ونقضوا محكماتها.

السابع ما اسندوه إلى عائشة، واللفظ لمسلم (١) قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) في باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد من الجزء الأول من صحيحه، وأخرجه البخاري أيضاً في الصحيح وغير واحد من أهل الصحاح والمسانيد.

ص: 89

وعند جاريتان تغنيان بغناء بعث، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني . وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله . فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : دعهما. فلما غفل غمزتهما فخرجنا.

(قالت): وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب - في المسجد - فأمّا سألت رسول الله وأما قال تشتهين تنظرين؟ فقلت : نعم، فأقامني وراءه خدى على خده، وهو يقول : دونكم يا بنى ارفدة حتى إذا ملن . قال: حسبك؟! قلت: نعم. قال: فاذهبي.

إنّا لله وإنا إليه راجعون. من عذيرنا من هؤلاء، يريدون ليشبّتوا فضيلة لمن يوالون فيأتون بمثل هذه لعائسة غافلين عما يلزمها من اللوازم الباطلة المستحيلة على سيد رسل الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكمل مخلوقاته .

ص: 90

كما رووا في خصائص عمر : أنه ما انقطع الوحي عنى مرة إلا خلته نزل في آل الخطاب . ورووا أيضاً: لونزل العذاب ما نجا منه إلا آل الخطاب.

ذهولاً عما وراء هذا الإفتراء، من الداهية الدهياء والطامة العمياء، نعوذ بالله من سبات العقل.

ودافعوا عن عتاة بنى أمية ومناققى آل أبى العاص كالحكم وابنه مروان وأمثالهما كانوا يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شديد الحذر على الأمة من عيثهم ونفاقهم فاقترضت

حكيمته ونصحه لله ولعباده أن يعلن أمرهم لئلا يغتر بهم فيما بعد أحد من الناس فلعنهم في مقامات له مشهودة، وأقصاهم إقصاء المفسدين في الأرض سجل عليهم بذلك خزيًا من الله مؤيداً، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ص: 91

لكن أولياءهم حاولوا تدارك ذلك كله فاختلقوا الحديث المشهور: اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإنى قد اتخذت عندك عهداً لم تخلفنيه، فأياً مؤمن آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربى تقربه بها إليك الحديث (١) .

آثر مختلق هذا الحديث سادته وكبراءه على الله تعالى ورسوله فلم يأبه بلوازم افتراءه التي لا تليق بخاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم كما أوضحناه في ما علقناه على الحديث في كتابنا - أبوهريرة - . وما كان لهؤلاء أن يحتفظوا بكرامة من لعنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفاقهم، ونفاهم لفسادهم، فيضيعوا على أنفسهم المصلحة التي توخاها

(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة وأوردناه في كتابه، وهناك مباحث يجدر بأهل العم أن يلموا بها.

ص: 92

لهم نبيهم في لعنه إياهم وإقتضائه لهم.

والآن يحدثنا عروة بن الزبير عن خالته - أم المؤمنين - بهذا الخبر، وإنه لعرة من العرر، فليعطف على قولها : مات رسول الله بين سحرى وتحرى، وربما قالت: بين حاقنتى وذاقنتى، وربما قالت: مات ورأسه على فخذي (١) .

وإن شئت فاعطفه على قولها: سابقنى النبي فسبقته فلبثنا حتى رهقنى اللحم، سابقنى فسبقتنى. فقالت: هذه بتيك (٢) .

أو على قولها: كنت العب بالبنات فيجىء صواحبى فيلعبن معى، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) فيما روى عنها بطرق مختلفة، والحق ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحق بالرفيق الأعلى ورأسه في صدر أم المؤمنين عليه السلام كما أثبتناه بالحجج القاطعة في المراجعة ٨٦ من كتاب المراجعات.

(٢) أخرجه الامام احمد من حديثها ص ٣٩ من الجزء ٦ من مسنده.

ص: 93

يدخلهن على فيلعبن معي (١) .

أو على قولها: خلال فيّ سع لم تكن في أحد من الناس إلا ما أتى الله مري م بنت عمران، نزل الملك بصورتي، وتزوجني رسول الله بكرة لم يشركه فيّ أحد، وكنت من أحب النساء اليه، ونزل فيّ آيات من القرآن كادت الأمة أن تهلك فيهن، ورأيت جبرائيل ولم يره أحد من سائه غيري، وقبض في بيتي لم يله أحد غيري (٢)

(١) أخرجه احمد من حديثها في مسنده فراجع ص ٧٥ من الجزء ٦.

(٢) وقع الاتفاق على انه صلى الله عليه وآله وسلم مات وعلى حاضر وهو الذي كان يمرضه وقلبه، وكيف يصح انه لم يله احد غيرها، فأين كان على وفاطمة والعباس وصفية والهاشميون والهاشميات؟ وأين كان أزواج البى؟ واين كانت الأمة وابرارها؟ وكيف يتركونه كلهم تستقل به عائشة وحدها؟ ثم لا يخفى على احد ان مريم لم يكن فيها شيء من خلال السبع التي ذكرتها عائشة، فما الوجه في استثنائها إياها؟

ص: 94

انا والملك الحديث (١) . إلى آخر ماكانت تسترسل فيه من خصائصها، وكلها من هذا القبيل.

الثامن ما أخرجه البخارى (٢) من حديث عكرمة عن ابن عباس . قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضع الذي مات فيه (٣) عاصباً رأسه بخرقة فتعد على المنبر فحمد الله واثنى عليه . ثم قال: انه ليس من الناس أحد آمنّ علىّ من ابى بكر بن أبى قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وهو الحديث ١٠١٧ من احاديث الجزء السابع من كنز العمال.

(٢) فى باب الخوخة والممر فى المسجد من كتاب الصلاة فى الجزء الاول من صحيحه.

(٣) قبل موته بثلاث ليال كما نص عليه القسطلانى فى شرح هذا الحديث فى باب سدوا الابواب إلا باب ابى بكر من ابواب مناقب المهاجرين ص ٣٢٦ من الجزء ٧ من إرشاد السارى.

ص: 95

أبا بكر خليلاً، لكن خلة الأسلام أفضل، سدّوا عنى كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر.

وأخرج البخارى ايضاً نحوه (١) من حديث فليح بن سليمان عن ابى سعيد الخدرى، غير أن آخره : لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر.

قلت: لا وزن لهذين الحديثين ولا قيمة لهما متناً وسنداً . اما السند فلأن عكرمة كان من الخوارج . وانداعية إلى الخروج، فعن الإمام أحمد بن حنبل: كان عكرمة من أعلام الناس، ولكنه كان يرى رأى الصفرية من الخوارج، ولم يدع موضعاً إلا اتاه، وعن عطاء أن عكرمة كان أباضياً، وعن يعقوب الحضرى : كان عكرمة يرى رأى الأباضية؛ وعن يحيى بن بكير قال: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب، فخوارج

(١) فى باب الخوخة من كتاب الصلاة.

ص: 96

الغرب كلهم عنه اخذوا، وعن ابن المدينى : كان عكرمة يرى رأى نجدة الحرورى، وعن مصعب الزبيرى : كان عكرمة على رأى الخوارج، قال : وادّعى على ابن عباس انه كان يرى رأيهم، كذباً وافتراءً على ابن عباس، وعن احمد بن حنبل: ما علمت أن مالكا حدث بشيء عن عكرمة إلا فى الرجل يطمأ امرأته قبل الزيارة، وعن خالد بن ابى عمران قال: كنا فى المغرب وعندنا عكرمة وقت موسم الحج فقال : وددت أن بيدى حربة فاعترض بها من

شهد الموسم يميناً وشمالاً، بناءً منه على كفر المسلمين جميعاً عدا اخوانه الخوارج، ووقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلا كافر، وحدث عكرمة يوماً فقال: إنما أنزل الله المتشابه من القرآن ليضل به.

قلت: ما أخبثها كلمة، بل انزل ليهدى به،

ص: 97

وما يضل به إلا الفاسقون من أمثاله.

وكان مع هذا كله كذاباً شهد عليه بالكذب جماعة من أعلام معاصريه، كعبد الله بن عمر إذ قال لمولاه ناعم : لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس، وكسعيد بن المسيب إذ قال لمولاه برد : لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس، وأوثقه سيده على بن عبد الله بن العباس فعوتب . فقال: إن هذا الخبيث يكذب عليّ أبي، فشهد عليه بالكذب والخبث كليهما وهو أعرف الناس به، وشهد عليه بالكذب يحيى بن سعيد ومحمد بن سيرين وقال: ما يستوى أن يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب . إلى آخر ما هو مذكور منجرحه في ترجمته من ميزان الاعتدال الذهبي وغيره، على أن كل من ترجمه كالقسطنطيني في مقدمة فتح الباري وابن خلكان في

ص: 98

وفيات الأعيان، وياقوت الحموي الرومي في معجم الأدباء ذكروه بماسمعت، والشهرستاني لما ذكر رجال الخوارج في كتاب الملل والنحل، كان عكرمة أول رجل عدّه منهم.

وكذلك فليح بن سليمان، إذ ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي . قال ابن معين : فليح بن سليمان ليس بثقة، ولا ابنه محمد. وروى عباس عن يحيى : ان فليحاً لا يحتج به. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت ابن معين يقول: ثلاثة يتقى حديثهم محمد بن طلحة بن مصرف، وأيوب بن عتبة، وفليح بن سليمان. وقال أبو داود: لا يحتج بفليح. قلت: وكانوا يتهمونهم في علي وعثمان وعائشة ومعاوية ومن كان مع هؤلاء من الصحابة، فهو إذاً من الخوارج كعكرمة، وهذا بمجرد بضطرنا إلى الريب فيهما، ولا سيما في حيثهما هذا المصوغ لمعارضة الصحاح

ص: 99

الصراح في سدّ الأبواب غير باب علي عليه السلام.

وحسبنا من حزازات المتن : أنه لم يكن لأبى بكر منزل جنب المسجد لينفذ اليه من خوخته، وإنما كان منزله فى السنح من عوالى المدينة، وبعد منزله عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يحضر احتضاره ولا وفاته، وإنما جاء كما صح عن عائشة بعد أن قضى نحبه فوجده مسجى - بأبى هو وامى - وعمر يحلف بالله إنه ما مات، الحديث (١) .

ولما لم يكن لأبى بكر منزل قرب المسجد أشكل الأمر على المتعبدین بحديث البخارى ومسلم، فاضطروا

(١) اخرج البخارى وغيره عن عائشة قالت : ما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر بالسنح فقام عمر يقول: انه والله ما مات وليبعثته الله فليقطعن ايدى رجال وارجلهم فجاء ابو بكر وكشف عن رسول الله الحديث، وكل من تعرض لذكر منزل ابى بكر قال : انه فى السنح، وذكره ابن الأثير فى مادة سنح من نهايته فى غريب الحديث.

ص: 100

إلى التحوز فى حديث عكرمة وفليح فجعلوا سدّ الخوخة كناية عن سدّ أبواب المقالة وتطلع غير أبى بكر إلى الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وبعبارة أوضح: جعلوا سدّ الأبواب كناية عن سدّ أفواه الأمة ومطامعها عن معارضته فى أمر الخلافة أو سدّ طرق الوصول إليها على غيره، ونقل القسطلانى عن التوريشتى والطيبى القول بأن المجاز أقوى معللين ذلك بقولهما : إذ لم يصح عندنا أن أبا بكر كان له منزل بجنب المسجد وأن منزله إنما كان بالسنح من عوالى المدينة (١) .

قلت: لا لوم على القوم فإنهم أسراء العاطفة تسخر مشاعرهم وحواسهم، فإذا هم مسيرون بأفهامهم وأحلامهم

(١) هذا كلام التوريشتى والطيبى عينا وهما من اعلام علمائهم نقله عنهما القسطلانى فى إرشاد السارى فراجع كلمة التوريشتى فى ص ٣٢٧ من الجزء ٧ فى باب سدّ الأبواب إلا باب ابى بكر ونقله عن الطيبى فى ص ٤٧٤ من الجزء السابع ايضا فى باب هجرة النبى واصحابه إلى المدينة.

ص: 101

أن نطقوا وإن صمتوا، ولو قيل لهم هل تثبت صحاحكم لعلّ هذه الخصيصة، خصيصة سد الأبواب غير با به لما وسعهم إلا الاقرار ببعض المأثور من صحاحها، وربما اقتصروا على ما اقتصر عليه القسطلاني، إذ يقول : وقد وقع في حديث سعد بن ابى وقاص عند الإمام أحمد والنسائي بإسناد قوى، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بسد الابواب الشارعة في المسجد وترك باب على (قال) وفي رواية للطبرني في الأوسط برجال ثقات مع زيادة فقالوا: يا رسول الله سددت أبوابنا . فقال: ما أنا سددتها ولكن الله سدّها (قال) ونحوه عند احمد والنسائي والحاكم ورجاله ثقات عن زيد بن أرقم وابن عباس، وزاد فكان على يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره، رواه أحمد والنسائي والحاكم ورجاله ثقات قال: ونحوه من حديث

ص: 102

جابر بن سمرة عند الطبراني (قال) وبالجملّة فهي كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني احاديث يقوى بعضها بعضاً وكل طريق منها صالح للاحتجاج بنفسه فضلاً عن مجموعها هذا كلامه بنصه.

قلت: ان هذا المقدار لأقل ما يقال في الصحاح المأثورة في سد الأبواب غير باب على وكفى به حجة على ثبوت ذلك.

واليك تفصيل حديث واحد من السنن التي أشار اليها القسطلاني بإجمال أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس في الجزء الأول من مسنده (١) والحاكم في الجزء الثالث من المستدرک (٢) والنسائي في خصائصه العلوية (٣) كلهم عن عمرو بن ميمون. قال: إني لجالس عند ابن عباس إذ اتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء.

(١) آخر ص ٣٣٠.

(٢) ص ١٣٣.

(٣) ص ٦.

ص: 103

فقال ابن عباس: بل أقوم معكم. قال - وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى - : فابتدأوا فتحدثوا فلا ندرى ما قالوا . قال: فجاء ينفذ ثوبه ويقول: أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، فاستشرف لها من اشتشرف . فقال: أين على فجاء وهو أرمَد لا يكاد أن يبصر فنفت في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاه إياه، فجاء على بصفية (١) بنت حبي. قال ابن عباس: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه. وقال: لا يذهب

(١) لا يخفى دلالة ما أشار إليه ابن عباس بكلامه هذا من سرعة الفتح وعظمته بسبب بنت الملك حى.

بها إلا رجل هو منى وأنا منه . قال ابن عباس: وقال النبي لبنى عمه: أيكم يوالينى فى الدنيا والآخرة. قال: وعلى جالس معه، فأبوا. فقال على: أنا وأليك فى الدنيا والآخرة. قال: أنت وليى فى الدنيا والآخرة. قال: فتركه ثم قال أيكم يوالينى فى الدنيا والآخرة، فأبوا . وقال على: أنا وأليك فى الدنيا والآخرة. فقال لعلى: انت وليى فى الدنيا والآخرة، قال ابن عباس: وكان علىّ أول من آمن من الناس بعد خديجة . قال ابن عباس: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثوبه فوضعه على على وفاطمة وحسن وحسين . وقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. قال ابن عباس: وشرى على نفسه فلس ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نام مكانه، وكان المشركون يرمون رسول الله، إلى أن قال: وخرج

ص: 105

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة تبوك فقال له علىّ أخرج معك؟ فقال : لا، فبكى علىّ. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدى نبي، لا ينبغي أن أذهب إلا وانت خليفتى . وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنت ولي كل مؤمن بعدى ومؤمنة. قال ابن عباس: وسدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب المسجد غير باب على، فكان يدخل المجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره . قال ابن عباس: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كنت مولاه فإن مولاه على، الحديث.

قال الحاكم بعد إخراجه: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة. قلت: وأورده

ص: 106

الذهبي في التلخيص مصرحاً بصحته على مزيد تعنته.

ولا يخفى ما فيه من الأدلة القاطعة على ان علياً ولي عهد والقائم مقامه من بعده جعله وليه في الدنيا والآخرة، وأنزله منه منزلة هاون من موسى، ولم يستثن إلا النبوة، واستثنائها دليل على ال عموم، والمسلمون والكتابيون يعلمون أن أظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى وزارته له وشدد أزره به ومشاركته في أمره، وخلافته عنه، وفرض طاعته على أمته بدليل قوله تعالى : (واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) .

وقوله سبحانه لهارون: (أخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) .

ص: 107

وقوله عز وجل: (قد أوتيت سؤلک ياموسى) .

فعلىّ بحكم هذه النصوص خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قومه، ووزيره من أهله وشريكه فى أمره على سبيل الخلافة، عنه لاعلى سبيل النبوة، وأفضل أمته وأولاهم به حياً وميتاً، وله عليهم من فرض الطاعة حتى فى زمن النبی صلى الله عليه وآله وسلم مثل الذى كان لهارون على أمة موسى زمن موسى، ومن سمع حديث المنزلة تبادر إلى ذهنه كل هذه المنازل، وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر جلياً بقوله : إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتى، وهذا نص صريح فى كونه خليفته، بل نص جلى فى أنه لو ذهب ولم يستخلفه كان قد فعل ما لا ينبغي أن يفعل، وهذا

ص: 108

ليس إلا لأنه كان مأموراً من الله عز وجل باستخلافه كما ثبت فى تفسير قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) .

ومن تدبر فى قوله تعالى فى هذه الآية (فما بلغت رسالته) ثم أمعن النظر فى قول النبی صلى الله عليه وآله وسلم هنا: إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتى، وجدهما يرميان إلى غرض واحد كما ذكرناه فى المراجعة ٢٦ من مراجعاتنا الأزهرية البشرية . ولا تنس قوله : أنت ولي كل مؤمن بعدى، ولا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : من كنت مولاه فأن مولاه على، فأنه نص فى أنه ولي الأمر وواليه، والقائم مقامه فيه. كما قال الكميت عليه الرحمة:

ونعم ولى الأمر بعد وليه * ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

وقد جاء النص فى سدّ الأبواب غير باب على بطرق كثيرة عن كل من ابن عباس، وأبى سعيد الخدرى، وزيد بن أرقم، وصحابى من خثعم، وأسماء بنت عميس، وأم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وحذيفة بن أسيد، وسعيد بن أبى وقاص، والبراء بن عازب، وعلى بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبى ذر، وأبى الطفيل، وبريدة الاسلمى، وأبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجابر بن عبد الله (١) وغيرهم.

(١) من أراد الوقوف على المأثور من حديث هؤلاء كلهم بسد الأبواب غير باب على، فليستقص موارد من مسند احمد ومستدرک الحاكم وصيحه الترمذى وخصائص النسائى والاكرى والأوسط والصغير للطبرانى ومسند أبى يعلى ومختارة الضياء وكنز العمال للمتقى الهندى ومناقب الامام احمد والمناقب لابن المغازلى الشافعى وغاية المراد للشريف الكتكانى.

فلا يعارضه حديث خوذة أبى بكر لشذوذ وسقوط راوييه الخارجيين عكرمة وفليح عن درجة العدالة والاعتدال والصدق، ولحزازات متنه، وعدم استقامته، على انه صريح فى أنه إنما صدر فى مرض موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحينئذ كانت الابواب كلها مسدودة غير باب على، لتقدم الأمر بذلك على مرضه صلى الله عليه وآله وسلم، فأى معنى لقوله بعد ذلك: سدوا هذه الأبواب غير خوذة أبى بكر يا اولى الألباب؟؟.

وإذا، فليسقط عكرمة وفليح، وليسقط روايتهما بسلطان البرهان الساطع، ولتعطف على سائر المختلفات من الأحاديث الموضوعة، لمعارضة على وغيره من أهل البيت فيما اختصهم الله به من فضله، وهى على أنواع وإنما نورد الآن منها ما تسعه هذه العجالة.

فمنها، معارضاً لحديث المنزلة، كحديث قزعة بن سويد عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو كنت متخذاً خليلاً لا تأخذت أبا بكر خليلاً، ولكن الله اتخذ صاحبكم خليلاً، أبو بكر وعمر منى بمنزلة هارون من موسى.

رواه غير واحد عن قزعة بن سويد الباهلي، وأخرجوه في كتب المناقب، وقد جاء في بعض طرقه: ما نفعتي مال كما نفعتي مال أبي بكر، أبو بكر وعمر منى بمنزلة هارون من موسى.

لكن الذهبي وأورده بطريقه، تارة في ترجمة قزعة بن سويد، فقال: منكر، وتارة في ترجمة عمار بن هارون، فقال: هذا كذب، وقال ابن عدي: وقزعة ليس بشيء.

ص: 112

ومنها، ما كان لمعارضة نصوص الخلافة، كحديث عمر بن إبراهيم بن خالد، عن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، عن أبيه عن جده. أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال العباس: يا عم إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله فاسمعوا له وأطيعوا تفلحوا، وأوردوه في المناقب، وجهابذة الحديث مجمعون على بطلانه، وممن صرح بذلك علامة عصره الذهبي في ترجمة إبراهيم من ميزان الاعتدال، ونص الخطيب في ترجمة عمر بن إبراهيم بن خالد من تاريخ بغداد على أنه كذاب، ويروى المناكير عن الاثبات، وأورد من حديثه عن زيد بن ثابت مرفوعاً: أول من يعطى كتابه يمينه عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس، قيل: عن أبي بكر؟ تزفه الملائكة إلى الجنة.

ص: 113

منها، ما كان لمعارضة عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي، أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق - الموجود في صحيح مسلم وغيره - كحديث عبد الرحمن بن مالك بن مغل، بسنده إلى جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يبغضن أبا بكر وعمر مؤمن، ولا يحبهما منافق، أوردوه في المناقب، لكن عبد الرحمن بن مالك بن مغل هذا ترجمه الخطيب في صفحة ٢٣٦ والتي بعدها من الجزء العاشر من تاريخ بغداد،

فنقل ثمة عن أئمة الجرح والتعديل: أنه كذاب أفاك وضاع، لا يشك فيه أحد، وذكره الذهبي في ميزانه فنقل عنهم: أنه متروك وأنه كذاب وأنه يضع الحديث.

ومنها ما كان لمعارضة سيدى شباب أهل الجنة، كحديث عبد الرحمن بن مالك بن مغول الآنف

ص: 114

الذكر بسنده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد رأى أبا بكر وعمر: هذان سيدا كهول أهل الجنة. قلت: وقد علمت حال عبد الرح من هذا وحال لهجته.

ومنا ما كان معارضاً للعترة في حديث الثقلين المجمع على صحته، كحديث صالح بن موسى بن عبد الله بن اسحاق بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي الطلحي بسنده إلى أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إني قد خلفت فيكم ثنتين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض: قلت مضمون الحديث حق، لكن صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ: وسنتي باطل، ومرمى راويه تضليل، والصحيح - الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا

ص: 115

كلام وقد أخرجه مسلم وغيره - إنما هو بلفظ: كتاب الله وعترتي أهل بيتي باعتبار أنهم عليهم السلام عيبة سنته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها كالفرقان العظيم والذكر الحكيم.

والآفة في تحريف هذا الحديث، وإنما هي - على رأى إخواننا الجماعيين - من صالح الطلحي - لأنه طالح بلا كلام - قال يحيى: إنه ليس بشيء ولا يكتب حديثه. وقال البخارى: مكر الحديث. وقال النسائي: متروك. وقال ابن عدى: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد. وقال ابن اسحاق الجوزجاني: ضعيف الحديث. وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً عن الثقات. وأرسل الذهبي ضعفه إذ أورده في الميزان إرسال المسلمات. ونقل عن أئمة الجرح والتعديل: كل ما نقلناه عنهم من جرحه.

ص: 116

ولو أردنا استقصاء ما كان من الأحاديث مختلفاً لمعارضة علىّ وسائر أهل البيت لطال بنا المقام وخرجنا عن موضوع البحث، وهذا القدر كافى لما أردناه والحمد لله.

التاسع، ما أخرجه مسلم فى باب من فضائل أبى سفيان عن عكرمة بن عمار العجلي اليمامى عن سماك الحنفى عن ابن عباس: ان المسلمين كانوا لا ينظرون إلى أبى سفيان ولا يقاعدونه . فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: طئبى الله ثلاث أعطينهن . قال: نعم. قال: عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها . قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: نعم. وتأمرنى أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: نعم الحديث (١)

(١) وضعه عكرمة بن عمار وجزم بذلك ابن حزم فيما نقله النورى عنه فراجع ما علقه النورى على هذا الحديث فى شرحه.

ص: 117

اقتصر عليه مسلم فى باب فضائل أبى سفيان، إذ لم يجد - والحمد لله - سواه، على انه باطل بالاجماع، لأن أبا سفيان إنما دخل فى عداد المسلمين يوم فتح مكة إجماعاً وقولاً واحداً، وقبل الفتح كان حرباً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن بنته أم حبيبة واسمها رملة اسلمت وحسن إسلامها قبل الهجرة، وهاجرت مع المهاجرين إلى الحبشة هرباً من أبيها وقومها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض اصحابه إلى النجاشى فخطب عليه أم حبيبة فزوجه إياها وصدقها النجاشى من ماله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واربعمئة دينار، وابوها إذ ذاك معن فى عداوة الله ورسوله، وقدم بعد ذلك على المدينة ليزيد فى هدنة الحديبية، فدخل على بنته أم حبيبة، وحين أراد أن يجلس طوت الفراش دونه.

ص: 118

فقال: يا بنية أرغبت به عني؟ فقالت: هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانت امرؤ نجس مشرك . فقال: لقد اصابك يا بنية بعدى شر، يص على هذا كله أثبات الأمة من حفظة السنن والآثار (١) .

العاشر، ما اسندوه إلى ابي هريرة من طريق صحيح . قال: دخلت على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة عثمان ويبيدها مشط . فقالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عندي آنفاً رجّلت شعره . فقال لى: كيف تجددين ابا عبد الله - عثمان -؟. قلت: بخير. قال: اكرميّه فإنه من أشبه أصحابي، بى خلقاً.

أخرجه الحاكم فى أحوال رقية من الجزء الرابع من

(١) وهو مما قاله الأستاذ محمد كرد على فى محاضرة القاها فى مدرج الجامعة السورية واثبتته فى ص ٤١٦ من المجلد ١٦ من مجلة المجمع.

ص: 119

صحيحه المستدرک. ثم قال: هذا حديث صحيح الأسناد واهى المتن، فإن رقية ماتت سنة ثلاث من الهجرة عند فتح بدر، وابو هريرة إنما اسلم بعد فتح خيبر سنة سبع . قلت: واورده الذهبى فى احوال رقية من تلخيص المستدرک أيضاً. ثم قال: صحيح منكر المتن، فإن رقية ماتت وقت بدر، وابو هريرة أسلم وقت خيبر.

وفى صحيح البخارى ومسلم من الأسقاط أمثال هذه الأحاديث الشرة شىء كثير، ولعل هؤلاء المر جفين إذا تمادوا فى ارجافهم يضطروننا إلى أن نفرد لأسقاطهم وسخافاتهم كتابا على حدة يكون فذاً فى بابه.

أما الآن فانا إنما نريد تنبيه الاستاذ إلى أن المآخذ التى أخذها على كتاب ابن شهر آشوب لا يسلم الصحيحان مما هو أقطع منها.

ص: 120

مع أن الشيخين وسائر السنة من اصحاب الصحاح أخذوا على انفسهم شروطاً ثقيلة فيما جمعوه من الحديث ما أخذ ابن شهر آشوب على نفسه شيئاً منها، وإنما جرى فى مناقبه على اسلوب الإمام احمد فى مناقبه، وإنه لأسلوب الأكثرين من حفظة الآثار كما اسلفناه.

التنبيه الثانى

وإذ جاء الحق وزهق الباطل والحمد لله رب العالمين فلتنبّه حضرة الاستاذ إلى ما قاله عنهم جماعة من أعلام الجماعيين، والمهددة في ذلك عليهم، فمنهم الفقيه الأصولي المتكلم الفيلسوف محمد بن أحمد بن رشد الاندلسي في كتابه «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» إذ ذكر الأشعرية وهم أصحاب الإمام أبي الحسن على بن اسماعيل بن أبي اليسر الأشعري

ص: 121

البصري فنقل عنهم القول : بأن صفات الله زائدة على ذاته وانهم يعتقدون أن الله تعالى عالم بعلم زائد على ذاته وحىّ بحياة زائدة على ذاته (قال): ويلزمهم على هذا أن يكون الخالق جسماً لأنه يكون هناك صفة وموصوف وحامل ومحمول (قال) وهذه حال الجسم وذلك لأن الذات لا بد أن يقولوا أنها قائمة بذاتها والصفات قائمة بها أويقولوا كل واحد منها قائم بنفسه، فإن قالوا بالأول فقد أوجبوا أن يكون جوهرًا وعرضًا لأن الجهر هو القائم بذاته والعرض والقائم بغيره والمؤلف من جوهر وعرض جسمٌ ضرورةً، وإن قالوا بالتانى فالآلهة كثيرة، وهذا قول النصارى الذين قالوا بأن الأقانيم ثلاثة.

أنتهى بتلخيص فليراجع (١) .

(١) فى ص ٥٨ من كتاب الكشف المطبوع سنة ١٣٣ هـ فى المطبعة الجمالية بمصر .

ص: 122

وللإمام على بن أحمد بن حزم الظاهري كلام فى شنع الأشعرية أورده فى عشرين صفحة أواخر الجزء الرابع من فصله تناول فيها أبا الحسن الأشعري والعلية من أصحابه كأبى بكر محمد بن الخطيب الباقلانى وسليمان بن خلف الباجى ومحمد بن الحسن بن فورك وأبى جعفر السمنانى قاضى الموصل المعاصر لابن حزم وهو أكبر أصحاب الباقلانى ومقدم الأشاعرة فى عصره فنسب اليهم من الأقوال ما هو عين الضلال، واليك بعض ما قال عن كبيرهم ابى بكر الباقلانى إذ نقل عنه القول : بأن لله خمس عشرة صفة كلها قديمة لم تنزل مع الله تعالى وكلها غير الله وخلاف الله وكل واحد منهم غير الأخرى منهم وخلاف لسائرهما، وإن الله تعالى غيرهن وخلا فهن إلى أن قال : وقد صرح الأشعري فى كتابه المعروف بالمجالس بأن مع

الله تعالى أشياء سواء لم تنزل كما لم يزل.

حتى قال ابن حزم، ولقد قلت لبعضهم: إذا قلتم إن مع الله خمس عشرة صفة كلها غير الله وكلها لم تنزل مع الله فما الذى أنكرتم على النصارى إذ قالوا إن الله ثالث ثلاثة فقال لى : إنما أنكرنا عليهم إذ جعلوا معه شيئين فقط ولم يجعلوا معه أكثر (١)

وقال ابن حزم: قالوا كلهم إنه حامل لصفاته فى ذاته . قلت: هذا ما نقله ابن رشد عنهم وذكر أن هذا يستلزم أن يكون جوهرًا وعرضًا لأن الجوهرى هو القائم بذاته والعرض وهو القائم بغيره.

والمؤلف من جوهر وعرض جسم بحكم الضرورة.

قال ابن حزم: وقالوا كلهم إن القرآن لم ينزل به جبرائيل على قلب محمد وإنما نزل عليه شيء آخر

(١) هذا كله موجود فى ص ٢٠٧ من الجزء ٤ من الفصل.

وهو العبارة عن كلام الله وإن القرآن ليس عندنا البتة إلا على هذا المجاز وإن الذى نرى فى المصاحف ونسمع من القراء ونقرأ فى الصلاة ونحفظ فى الصدور ليس هو القرآن البتة ولا شيء من كلام الله البتة بل شيء آخر وإن كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله (١) .

قال ابن حزم : ولقد اخبرنى على بن حمزة المراءى الصقلى الصوفى أنه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله! قال: فأكبرت ذلك فقلت له: ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى؟ فقال لى : ويلك والله ما فيه إلا السخام والسود وأما كلام الله فلا ! (قال) وكتب إلى أبو المرحى ابن رزوار المصرى أن بعض ثقات اهل مصر من

(١) تجد هذا فى ص ٢١١ من الجزء ٤

ص: 125

طلاب السنن أخبره أن رجلاً من الأشعرية قال له مشافهه : على من يقول ان الله قال : قل هو الله أحد الله الصمد،
الف لعنة (١) !

قال ابن حزم: غلاة المرجئة طائفتان إحداهما قائلة بأن الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله ولى الله فى الجنة !! (قال): وهذا قول محمد بن كرام السجستاني وأصحابه (قال): والطائفة الثانية القائلة إن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أولزم اليهودية أو النصرانية فى دار الاسلام وعبد الصليب وأعلن التشليث فى دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان !! عند الله، ولى الله من أهل الجنة؟ (قال): وهذا قول ابى محرز جهم

(١) تجد كل ذلك فى ص ٢١٢ من الجزء ٤.

ص: 126

وقول ابى الحسن على بن اسماعيل بن ابى اليسر الأشعرى البصرى وأصحابهما . إلى آخر ما نقله عن الأشعرى
واتباعه وهم الجماعيون كلهم فى عصرنا الحاضر والعهد عليه كما قلناه

الاعذار فى الأنداز

٤

إن الأستاذ محمد كرد على - رئيس المجمع العلمى العربى بدشق - اغتر بأناة الشيعة الامامية، إذ لم تأبه بهفواته
فى حقها، ولم تحاسبه على شىء من افتئاتاته عليها، شأن (الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم
الجاهلون قالو سلاما) من كل كبير فى نفسه، رفيع فى مصعده، ذى خلق وادع، وبال واسع، ولب رخى، وذرع
فسيح، فظن أنهم مبتدلو

الفناء، مباحوا الذمار، يضرعون الخد، ويعطون الضيم عن يد، لذلك تمادى عافاه الله وأمعن، وغلا وأوغل ركباً رأسه في بهتهم، ماضياً على غلوائه في ذلك، غير وجل ولا مكترث:

جاء شقيق عارضاً رمحاً * إن بنى عمك فيهم رماح

لكنهم كرهوا إيقاظ الفتنة الراقدة، وإيقاد الحرب الخامدة، وقد أيقظ هذه الفتنة، وأوقد هذه الحرب العوان الفكرية خصمهم بيهتانته وعدوانه:

(ضاراً وكفراً بين وتفريقاً بين المؤمنين وارضاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون)

وقد كان للأستاذ سلف تزلف لبنى أمية بمثل هذه الأراجيف، فسخر له بنو أمية كل ما لديهم من حول وطول

(فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

والشيعة كانوا إزاء ذلك كله كالجبل الأشم لا يحفل بالعواصف، والبحر الخضم لا يابه بلفحات الهجير، هذا والعصر ظلم وظلمات، والحياة مهددة بالممات . أما اليوم فنور وحرية يأييان ذلك كل الإباء، وما على الأمامية لو جابهت النواصب بحقيقتها الناصعة، فأثبتتها بحججها القاطعة، ولعل النواصب يضطروننا إلى هذا فيثيروا بذلك عواناً من المعارك الفكرية، التي لا تحمد عقباها لكن:

إذا لم يكن إلا الأسنه مركباً * فما حيلة المضطر إلا ركوبها
(على الله توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير) ، (ربنا افتتح بيننا وبين قومنا لالحق وانت خير الفاتحين) .

وقد أعذر من أنذر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

صور جبل عامل

عبد الحسين شرف الدين الموسوي